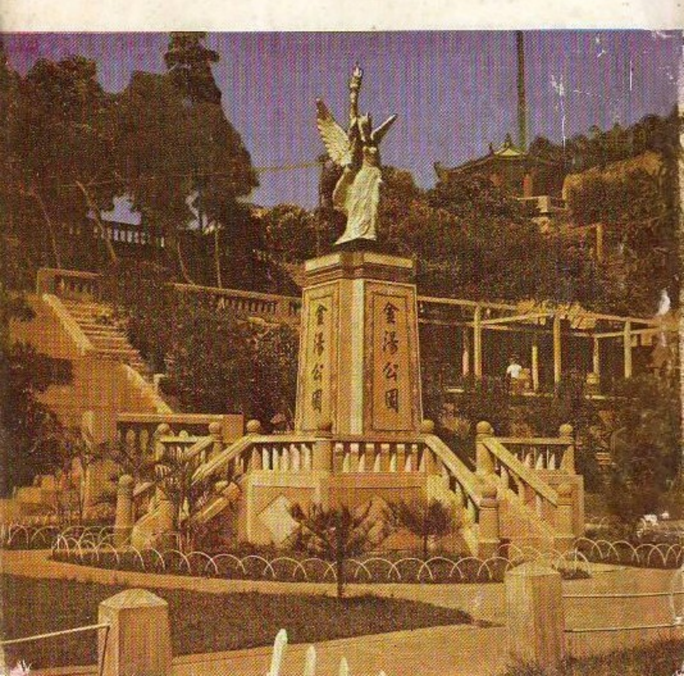
باسيل دقاق

الباب الذهبي



باسيل دقاق

الباب الذهبي

تقسيم الكتاب

الفصل الاول

الوجوه الباسمة

—■—

من بيروت الى كيموي قلعــة الصين الوطنيــة الجبارة وترس المحيط الهادىء الغربي ... من بيروت الى « جدار برلين » الشرق الاقصى ... من بيروت عبر جنوب آسيا الشرقي كله ، باكستان ، الهند ، بورما ، تايلاند ، هونغ كونغ ، تايبه عاصمة فورموزا ، حتى جزيرة كيموي ، رحلة عظيمة مثيرة ، وقعت فيها على كنز من المعارف والتجارب والعبر وغريب الاحداث والصور .

في هذه الرحلة المثيرة التي اوصلتني الى كيمن (كيموى) او الباب الذهبي كما تسميها الصين ، باب الخروج المنتظر على البر الصيني من قاعدة الصين الوطنية لتحريره ، انقلك معي ايها القارىء لنرى معا كيف تعيش تلك الامم بعاداتها وتقاليدها ، وكيف تنمو وتتقدم ... كيف تناضل لتحافظ على كيانها وحريتها وتراثها الفكري واسباب عيشها ، في وجه طغيان الصين الشيوعية وخطر تنين احمر جائع يحاول ان يخربها ويمزق اطرافها ثم يلتهمها واحدة واحدة .

* * *

قد ينسيني طول الرحلة وتعدد صورها وبلدانها وهزيم النفاثات التي حملتني فيها ، حوادث ودقائق عديدة . ولكن ما لا يمكن ان انساه حادث وقع لي مع بائعة عاديات صينية في تايبه جمعت الى خفة الظل وحلاوة المبسم ، فكرا نيرا ونظرة عميقة فيها شيء من غموض الصين القديمة وفلسفتها ... قصدتها لاشتري بعض ما صنعته اليد الصينية البارعة . واخترت في ما اخترته قناعين من الابنوس محفورين يمثلان الضاحك والباكي .

نظرت الي الفتاة لحظة وقالت مداعبة : انت ضيفنا في هذه الجزيرة . اذن لن اعطيك سوى وجه واحد ، الوجه الضاحك لانه يمثل شعبنا الحر السعيد . اما الوجه الثاني فيمثل الصين الاخرى الرازحة تحت النير الشيوعي في الارض المغصوبة ...

خرجت بالوجه الضاحك وحده وانا اتأمل في ما قالته الفتاة الباسمة . ولقد ذكرته بعد ذلك طويلا اثناء زيارتي ، فاذا الصورة حقيقة والتشبيه واقع ، واذا هذه الصين الباسمة السعيدة هي وجه الصين الصحيح بتقاطيعه الطافحة بالحياة والقوة والنشاط ، وعنوان قلبها الصافي النابض بالمحبة والصدق .

زرت العديد من مدن تايوان وقراها وخالطت اهلها ودخلت مجتمعها في مختلف فئاته ، فاذا الثقافة الصينية الاصيلة القائمة على تعاليم كونفوشيوس ومكارم الاخلاق في

فلسفته وتشريعه ، راسخة في النفوس تزداد عمقا كلما ازداد الشيوعيون ضراوة في تشويهها وتمويهها بين سكان البر الصيني .

رأيتهم في متاجرهم ومعاملهم ، في حقولهم وبيوتهم وملاهيهم ، تكاد الابتسامة لا تفارق وجوههم ، مقبلين على العمل ، مجدين فيه ، ونصب اعينهم هدف مشترك واحد : عمل احسن لغد افضل يتحقق فيه تحرير شبه القارة الصينية واسترداد وحدة الامة وارضها وازدهارها .

والوجوه الباسمة عنوان العيش الباسم والثقة بالنفس . ولا عجب ، فالصينيون الاحرار ينعمون برفاه لا مثيل له في الشرق الاقصى كله ، اللهم الا في اليابان ، بفضل المعجزة الاقتصادية التي حققوها في تايوان ومجموعة الجزر السبع والسبعين الملحقة بها ، والتي لمستها في الفارق الهائل بين ما كانت عليه البلاد عند تحريرها من الاحتلال الياباني سنة ١٩٤٥ من فقر وتخلف وشبه عزلة وبين ما هي عليه اليوم من بحبوحة وتقدم .

اما الثقة بالنفس فتلمسها في كل صيني ايا كان عمله ، باتقانه هذا العمل وتفانيه في ادائه . ويكفيك ان تذكر انه يندر ان تجد فردا في الصين الحرة يشك بأن الجمهورية الصينية الشرعية قادرة على تحرير البر الصيني برمته ، او يتردد في اداء نصيبه من الجهد لبلوغ هذا الهدف ، كي تدرك اية ثقة بالنفس يتمتع بها هؤلاء القوم .

وتتجلى هذه العزيمة وهذه الثقة بالنفس في مسارح تايبه وعلى شاشاتها ، في ادبها وصحافتها حتى المعارضة منها ، في جيشها وفي ادارتها جميعا . وتكاد لا تخلو مسرحية او فيلم من نبذة تاريخية تحيي ذكرى معارك التحرير وبطولات الدفاع عن الحرية الحافل بها تاريخ الصين .

ولاذكر هنا ان المسرح والسينما في الصين الحرة متطوران ويتسمان غالبا بطابع ثقافي عميق فكأنما الثقافة جزء من خبز الناس اليومي . بل انها لكذلك . ففي فندق الامبسادور الذي نزلت فيه وامثاله من الفنادق الكبيرة في تايبه ، يقدمون لك مع كل وقعة ، تمثيلية قصيرة وبعض الالعاب والرقصات الوطنية على مسرح قاعة المطعم الصيني ... ولقد اجتذبني المسرح فاقلعت عن المطعم الاوروبي وادمنت المطعم الصيني ... فلما ذقت اكلاته اللذيذة ادمنتها هي الاخرى ...

وليس احب من المسرح والشاشة الى قلوب الصينيين .. ولقد شهدت عدة تمثيليات ترافقها جوقة موسيقية غربية من عازفين صينيين ، فاعجبتني فيها قوة الموضوع وبراعة التمثيل الصامت وحركات التعبير الواضحة والمعاني الرفيعة، الى اتقان في التمثيل والاخراج يكمله جو ساحر تضفيه ممثلات فاتنات بجمالهن الشرقي الاخاذ واثوابهن المزركشة الملونة بأزهى الالوان في مزيج حلو من الاوبرا والرقص التقليدي .

ولم تقو الشاشة بعد على المسرح . الا انها اصابت نجاحا

مرموقا في مجموعة ضخمة من الافـــلام شاهدت بعضها فوجدتها من مستوى جيد يجمع الى قوة الموضوع براعة اصيلة في التمثيل واتقانا في التصوير والتلوين ، وان كانت تشوبه مسحة بدائية .

واذكر هنا حادثا طريفا وقع لي في عالم السينما . فقد شاهدت في المساء فيلما صينيا حديثا واعجبتني بطلته دون سائر الممثلين ، برقتها ونضارتها وبراعتها في تمثيل دور الزوجـة الوديعة الساذجـة الغيور . واتفق وانا ادخـل مصعد الفندق في مساء اليوم التالي ان التقيت فتاة رقيقة وديعة نظرت الي نظرة حالمة ذكرتني بفيلم الامس وبطلته ... سألتها بالانكليزية ، واللغة الانكليزية هي الشائعة في المنطقة : الست انت بطلة ذلك الفيلم ؟

ـ اجل انها هي بعينها ... وتولى رفيقها الشاب الجواب عنها فقال : نعم انها الممثلة شيانغ شونغ ، وانا زوجها ستيف ليو ، وكلانا ممثلان سينمائيان ... اعذرها انها لا تجيد الانكليزية لذلك لا تتكلمها ... اتحب ان تمضي بعض السهرة معنا في المسرح ؟

ولمست الصدق في دعوته فقبلتها . وامضينا الهزيع الاخير من الليل نشهد احدى التمثيليات ونتبادل النكات والملح ونتحدث عن بلادهم وبلادنا وفنونهم وفنوننا ... كان معظم جلسائي من وجوه السينما الصينية البارزة اذكر منهم كيرك وانغ ، وهو من الممثلين المعروفين ، وجميعهم قد مر بالتمثيل المسرحي في اول نشأته الفنية .

وكانت خاتمة السهرة رقصة احبت ممثلتي الحسناء شيانغ ان تخصني بها بعد استئذان زوجها ، فاذا بها تجيد الرقص بقدر ما تجيد التمثيل ، واذا بالسهرة من امتع ما امضيت في العاصمة تايبه .

على أن هناك سهرات اخرى لا انساها ، منها سهرتان في مسرح الامبسادور قدمت فيهما المغنية اليابانية الشهيرة ماري شيراتوري طائفة من اغانيها الرائعة باليابانية والصينية والانكليزية . وصادف ان حضر الحفلتين وفد من سيدات الغيشا اليابانيات جئن في زيارة للعاصمة ، باثوابهن الوطنية الطريفة واقمطتهن التقليدية المعقودة فـوق مؤخراتهن لتزيدهن فتنة وسحرا ودلالا . واختلط الشرق والغرب في جو فني اجتماعي رفيع يكاد يكون طابعا مميزا لسهرات العاصمة تايبه .

والحق انك سرعان ما تندمج في المجتمع الصيني وتسايره في كثير من عاداته وتقاليده . فهو مجتمع يسوده صفاء الطوية وحلو المعشر وحسن الوفادة حتى لتكاد لا تشعر بانك غريب عنه . ولقد بلغ من فرط ارتياحي اليه انني تعلمت باسرع مما تصورت أن آكل على الطريقة الصينية ، بالشوكتين المفردتين تلتقط بهما اللحم والخضار كأنك ممسك بريشتي رسام ، وبالارز قاعدة بدل الخبز ، والشورباء تتناولها بملعقة زجاجية كبيرة عميقة تشبه ملاعق الفالوذج المعروفة في سورية .

اما المآكل الصينية فمن الذ ما تذوقته ، وان كنت لم استسغ بعض التوابل والحريف من الخضار فعدلت عنها الى مئات الاصناف من اطيب ما يقدم اليك في مطاعم العالم.

* * *

تايبه بسكانها المليون والربع والالاف من زائريها من سياح ورجال اعمال ، حركة دائمة يكاد لا يفتر النشاط فيها ليل نهار . في المصانع والمتاجر والاسواق والفنادق ، في دوائر الحكومة وسائر المؤسسات العامة والخاصة ، عمل متواصل ينشىء ويبني وينتج .

حركة السير تكاد تضاهي الحركة في بيروت والقاهرة . وسيارات الاجرة منتشرة في كل مكان ، موحدة الزي ، حمراء كالشياطين الحمر تسعى في الشوارع والاحياء وكلها من صنع البلد. بل كل شيء معروض في الاسواق هو من صنع البلد . فالصناعة التايوانية قد انطلقت بسرعة مدهشة فكفت معظم حاجات البلاد وفاض الانتاج عن الحاجة فصدر الى الاسواق بعد ان تفوق نصيبه من الدخل القومي على الزراعة رغم تطورها وبلوغها ارقى المراتب .

وتملأ المطاعم ، من شرقية وغربية ، احياء المدينة وتنتشر فيها دور السينما بكثرة ويقبل عليها الناس كل الاقبال حتى ان الشركات السينمائية ، وعلى رأسها الشركة المركزية

التي تملك مسرحين كاملي التجهيز وتتعاون مع منتجين من هونغ كونغ واليابان وكوريا ، تكاد لا تسد الحاجة رغم انها انتجت في العام الماضي وحده مائة وسبعين شريطا .

وتنتشر الانصاب التذكارية والابنية الاثرية والمتاحف وبعض ناطحات السحاب في المدينة وضواحيها ، واكبرها متحف صن يات سن الجديد في ضاحية وايشانغ . وقد زرته فاذا فيه اكثر من ثلاثمائة الف تحفة فنية صينية يعود تاريخ معظمها الى خمسة قرون وتنطوي على اكبر مجموعة في العالم من الاواني البرونزية والخزفية وحجر اليشم ، الى جانب مجموعة جذابة ثمينة من اللوحات والخطوط القديمة .

ومركز الاشغال اليدوية في المدينة من اغنى المراكز في المنطقة بالمطرزات والازياء التقليدية ولوحات الفسيفساء والاثاث الخشبي المحفور والحرائر المزركشة والتماثيل والسجاد والثريات والمصابيح والآنية والاقنعة والمراوح وامثال ذلك مما تجيده اليد الصينية الناعمة ويفخر به هواة التحف في العالم .

ومن التحف الاخرى الشهيرة ما تضمه المعابد البوذية والتاوية من تماثيل لبوذا والالهة والكهنة ، وما تحلى به هذه التماثيل من مجوهرات ، والسقوف المنقوشة والهياكل الحافلة بروائع الاشكال والنقوش والزين . وفي فورموزا حوالي الفي معبد ومزار يخدمها نحو ستمائة راهب والف

وخمسمائة راهبة . والبوذية اكبر الديانات وتضم حوالي نصف السكان .

اتيحت لي فرصة زيارة بعض المعابد البوذية الكبرى في تايبه وغيرها من المدن . وصادف ذلك عيد الخريف وفيه ترفع الصلوات والادعية ... والشمع الاحمر والبخور والركوع وضم اليدين ابتهالا ، هي ابرز تقاليد الدين . وهناك التقدمات ، وتكون اما بالمال يوضع في خزانة حديدية كبيرة او بالعطايا من مجوهرات او فاكهة او زهور . ويرافق الصلاة امام الهيكل وفي باحة المعبد وجنباته موسيقى يعزفها الراهب او الراهبة على ارغن خلف الهيكل ، فيما يشعل المتعبدون الشموع ويحرقون عيدان الند والعنبر بخورا يرفعونه الى السماء ...

ولا يسمح بالوصول الى الهيكل الا للسياح كي يروا تماثيل بوذا وقادته وجنده عن كثب . امـــا العباد فيبقون خلف السياج الذي يفصل الهيكل عن القاعة والباحة .

وهناك الديانة التاوية ولها كذلك حوالي الفي معبد ، منها مائتان لعبادة شوان تيان ، امبراطور السموات . ومن اكبرها واجملها معبد شينان في ضاحية من ضواحي تايبه .

وللكاثوليك ، وعددهم نحو ثلث مليون ، اكثر من اربعمائة كنيسة . اما البروتستانت وعددهـــم اكثر من الكاثوليك بقليل ، فلهم اكثر من الفي كنيسة لستين طائفة مختلفة .

وللمسلمين في الصين الحرة شأن مرموق واحترام عظيم. وسأفرد لهم قسما خاصا في ما يلي من الفصول .

وقلما تجد اميين في فورموزا . وقد يدهشك ان تعلم ان نسبتهم اقل من عشرة في كل مائة . فاذا كان بين الهاربين من البر الصيني او اللاجئين من هونغ كونغ او ماكاو ، اميون ، تولت مدارس حكومية مخصوصة تعليمهم . وتعنى بالمثقفين الصينيين الهاربين من البر الصيني ينشدون الحرية في فورموزا ، جمعية اغاثة تهتم بشؤون عملهم ومسكنهم ورعايتهم ، فيما يشملهم الضمان الاجتماعي الحكومي بخيراته.

ومدينة تايبه شهيرة بجامعاتهـــا ومنظماتهـــا الثقافية والاجتماعية من صينية واجنبية ، وفي مقدمتها الاكاديمية الصينية التي تبلغ مستوى الاكاديميات العالمية وتضم معاهد لابحاث التاريخ والفقه وتاريخ الصين والعلوم الاقتصادية والطبيعيات والرياضيات وعلم النبات والحيوان والكيمياء وعلم الاجناس . وهناك احدى عشرة جامعة واربع وثلاثون كلية واربع عشرة اكاديمية ومدرسة حربية من مستوى رفيع . وتضم جامعة تايوان الوطنية ست كليات وحوالي خمسين دائرة . ويبلغ عدد الطلبة الجامعيين قيد التخرج اكثر من سبعين الفا بين شاب وفتاة .

ووسائل الاعلام والنشر من انشط ما عرفت في جنوب آسيا الشرقي . ففي تايبه اكثر من ثلاثين صحيفة يومية ، منها ثلاث تصدر باللغة الانكليزية ، وحوالي ثمانمائة مجلة



الرئيس شيانغ كاي شيك رئيس الجمهورية الصينية ونائب الرئيس الاستاذ ين شيا كان اثناء تحيتهما الجماهير بعد تنصيبهما في ٢٠ ايار ١٩٦٦ . وقد انتخب الرئيس شيانغ رابع مرة ونائب الرئيس اول مرة وقد خلف نائب الرئيس السابق شنغ شين

ونشرة دورية ، الى جانب سبعمائة دار للنشر ونيف وستين محطة اذاعة ووكالة الانباء الوطنية وعشرات الوكالات الصحفية الاجنبية .

* * *

للدكتور صن يات سن مؤسس الجمهورية الصينية وابيها، حكمة بليغة يقول فيها : « يجب علينا ان نتعلم المشي قبل ان نركض » . ومن الامم من حاول او يحاول اليوم ان يركض حتى قبل ان يتعلم الحبو ... فسقط او انه يوشك ان يسقط في مجموعة الدول الحديثة العهد بالاستقلال البعيدة كل البعد عن الاستقرار . اما هؤلاء القوم فقد ايقنت انهم تعلموا حكمة الدكتور سن وعملوا بها ، فتراهم اليوم يركضون في النمو والبناء والاستعداد بعد ان اتقنوا المشي بتؤدة وثبات قدم .

ولقد تعلموا فلسفة صينية في الحكم تقول ان الديموقراطية تنمو من الجذور . وطبقوا هذه الفلسفة بعد ان نص عليها دستورهم ، فانتخبوا مجالسهم البلدية ومحافظيهم ومأموري قضائهم ونوابهم من الحزب الرئيسي الكومنتانغ والحزبين الآخرين « الصين الفتاة » و « الحزب الديموقراطي الاشتراكي » ، انتخابا مباشرا اشتركت به المرأة كالرجل تماما ، ناخبة ومنخوبة . بل ان وجود المرأة في الهيئات المنتخبة قد اعتبر ضروريا وفرض ان يكون في كل منطقة

لها اربعة مقاعد فما فوق في هيئة من الهيئات البرلمانية مقعد لامرأة واحدة على الاقل .

وعلى ذكر دور المرأة في التشريع والقضاء والادارة ، لا بد من ان اسجل انني كدت لا ادخل دائرة الا وجدت المرأة تحتل فيها مكانا او مكانين . فهنـــاك صحافيات وهناك قاضيات ومحاميات وطبيبات ومدعيات عموميات ومديرات مدارس ومأمورات بريد . وفي المحكمة العليا امرأتان ، وفي المجلس التشريعي تسع وخمسون امرأة ، وفي مجلس الرقابة العامة تسع عشرة ، ومجلس النواب او الجمعية الوطنية اكثر من مائتي نائبة ، وفي المجلس الاقليمي ومجالس الاقضية والبلديات اكثر من مائة وعشر نساء . ولرئيس فرقة من فرق شرطة تايبه نائبة . وتتولى امرأتان ادارة دائرتي التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي .

وفي عصبة النساء الصينيات لمكافحـــة العدوان التي تترأسها السيدة قرينة الرئيس شيانغ كاي شيك حوالي مائتين وخمسين الف عضو موزعات في فرق العمل في ميدان القتال وخدمة القوات المسلحة والعناية بالاطفال والمرضى وبناء المساكن لاسر الجنود ، وقد بنت منها عشرين الفا .

* * *

والاسرة من اقدس اقداس الصينيين . وقد لمست ذلك في كل زيارة وكل دراسة ، ووجدت ان من اشد ما يثير

احرار الصين ذلك التشتيت العائلي الرهيب الذي ابتكره الصينيون الشيوعيون حين فصلوا العمـــال الازواج في المجمعات (الكومون) عن زوجاتهم العاملات ، باسم « اعادة تنظيم المجتمع الاشتراكي » .

ويعقد الزواج عادة ، عند غير المسيحيين والمسلمين من الصينيين ، باتفاق الاسرتين وحضور شهود . وقد شهدت عرسا اقيم في الفندق وتبعته حفلة ساهرة ممتعة : وقف العروسان امام الشاهد الاكبر ، وهو من الاعيان ، وجلس افراد الاسرتين حول مائدة كبيرة ، يتقدمهم وسيطا الزواج . وراح الشاهد يعطي العروسين بعض النصح والارشاد في كيف تؤسس الاسرة ويعيش الزوجان متفاهمين متكاتفين . فلما انتهى من خطابه قام الى المذياع بعض الخطباء يحيون العروسين ويعددون مناقبهما ويهنئونهما وافراد الاسرتين . ثم اخذ الشهود يبصمون اختامهم على وثيقة الزواج وقد تجاوزوا العشرة . فلما فرغوا من ذلك انهال المدعوون على العروسين بالاوراق الملونة يمطرونهما بهجة وسعدا ، وانتقل الجميع بعدئذ الى موائد مستديرة يأكلون ويسمرون ، فيما رأيت جزءا من ثوب العرس يتمزق وسط الهرج والمرج ... واذ به من الورق مثل كل اثواب العرس تصنع على احدث طراز وتزركش وتباع بارخص الاثمان وتصدر الالاف منها الى الخارج ...

قال لي احد الضيوف يصف ما سيكون بعد حفلة العشاء في الفندق : يذهب الاصدقاء الى بيت العروسين فيسمرون

ويهزجون ويرقصون ... ومن التقاليد ان يظلوا على هذه الحال طول الليل ليمنعوا العروسين من ان يختليا وينعما بالوصال تلك الليلة ... وبعد ثلاثة ايام من الزواج يذهب العروسان الى بيت اهل العروس ويتجدد الاحتفال وسط جموع الاقارب والاصدقاء .

الفصل الثاني

المعجزة

سمعت الكثير عن المعجزة الاقتصادية التي حققتها الصين الحرة في الاقليم الذي تتمركز فيه حكومتها منذ انسحابها من البر الصيني . وقرأت الكثير من تقارير الاحصاء عن الفارق الهائل بين ما كانت عليه هذه الجزيرة عند تحريرها من الاحتلال الياباني سنة ١٩٤٥ وبين ما هي عليه اليوم . ولكنني دهشت ايما دهشة حين لمست هذه الثمرات لمس اليد اثناء زيارتي ، ورأيت بأم العين ما يرتع فيه الشعب الصيني الحر من بحبوحة وهناء وما يتمتع به من ضمانات اجتماعية وما يبذله من جهد في معركة الانماء والتطوير التي تخوضها ادارته دون كلل لتجعل من هذه الارض الناجية من قبضة الشيوعيين ، نموذجا للدولة الحديثة المزدهرة .

رأيت الناس في حقولهم ومصانعهم ومتاجرهم صغيرها وكبيرها ، مقبلين على العمل بجد وايمان واطمئنان ، ينشئون ويبنون ويرزقون ، والسعادة ملء جوانحهم . لقد تحققت لهم الكفاية في الكثير من المرافق . فلا احتياج ولا مجاعة ولا شيء مما يعانيه اخوانهم الواقعون في قبضة الحكم الشيوعي في البر الصيني . انهم يأكلون ملء بطونهم فيما تجوع شعوب

البر الصيني وتتململ من النقص حتى في الارز اساس غذائها . لقد كانت نتيجة ثماني عشرة سنة من الحكم الشيوعي ان انتزع حتى صحن الارز من افواه مئات الملايين. وكان حريا باولئك الذين فرضوا على الشعب في البر الصيني حكما غريبا عنه واستولوا على كل شيء ، ان يبنوا اقتصادا متينا مزدهرا بفضل ما تزخر به شبه القارة الصينية من خيرات وثروات وارض خصبة شاسعة واسباب عيش هنيء. ولكن النتيجة كانت بعد ثماني عشرة سنة ما نراه اليوم من جوع واضطراب اقتصادي واجتماعي وتدهور في الدخل القومي وتبديد لطاقات البلاد وثرواتها علـى ضروب من النشاط خارج الصين ، غايتهـا التسلل واثارة الاضطـراب في بلاد الغير لتنمو فيها بذور الشيوعية وتعم اشواكها .

ويكفينا للمقارنة بين مدى فشل النظام الشيوعي في البر الصيني ومدى نجاح النظام الحر البناء في جمهورية الصين في تايوان ، ان نعلم ان هذه الجزيرة التي جعلها الصينيون الاحرار مركز الجمهورية الموقت ، لا تتجاوز مساحتها ستة وثلاثين الف كيلومتر مربع مع الجزر الثلاث عشرة المحيطة بها وارخبيل بنفهو (جزر البسكادور) وان ثلث اراضيها فقط صالح للزراعة والثلثين الاخرين سلسلة جبال يقتصر موردها على الغابات ، وان سكانها ثلاثة عشر مليونا ويزدادون بمعدل ثلاثة في المائة كل سنة .

ولقد استطاعت الصين الحرة ، رغم قلة مواردها وثرواتها الطبيعية ، ان تبني اقتصادا متينا مزدهرا ، وان تكفـي

نفسها غذائيا وتصدر كميات كبيرة من الاغذية الى اميركا واليابان والدول الاسيوية . بـــل ان حكومة الجمهورية الصينية الحرة حملت الكثير من اسباب ازدهارها الى خارج بلادها فقدمت العون الزراعي والفني الى حوالي ثلاثين دولة من دول آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية وامدت بعض الدول الافريقية بقروض تساعدها في انمـــاء اقتصادها وتطوير مجتمعها .

ولقد حصلت بعض الدول العربية على شيء من هذه المساعدة . ففي المملكة العربية السعودية بعثة فنية صينية ترشد الزراع الى افضل السبل لانماء عدد من الزراعات الصالحة للمناطق الحارة والصحراوية . وفي ليبيا عدة بعثات طبية اوفدتها حكومة تايبه لتساعد السلطات الليبية على تأمين الخدمات الصحية في المدن والارياف .

وهكذا نجد الصين الحرة ، بعد ان نظمت داخلها وطورته ، تصدر الى البلدان الاخرى اسباب التطور والازدهار وثمار التجربة والمعرفة ، فيما يصدر حكام الصين الشيوعية الى جيرانهم في جنوب آسيا الشرقي وحتى الى افريقيا والشرق الاوسط ، اسباب الفقر والاضطراب السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

تلك حقيقة نقف كل يوم على آية جديدة من آياتها في ما تنقله الينا الانباء عن الاضطراب الذي تعانيه اقطار عديدة في المنطقة نتيجة التسلل الشيوعي الصيني . وقد لمست ذلك

في الاقطار التي زرتها اثناء رحلتي الاخـــيرة الى الشرق الاقصى ولاسيما هونغ كونغ وتايلاند وبعض اطراف الهند ، وسأتحدث عنها في فصول آتية .

ولكن كيف تمت المعجزة الاقتصادية في الصين الحرة ؟

تلك قصة ملهمة حقا ، وحري بنا ان نتعلم منها دروسا ثمينة في طرق الانماء والجد في التخطيط والعمل بتعاون الحكومة والشعب . والحق انني قلما رأيت ادارة نشيطة واعية كادارة تايبه او شعبا مجدا مقبلا على عمله ، قادرا تبعاته وواجبه كالشعب الصيني الحر .

لقد عانت تايوان من الضنك ابان الاحتلال الياباني الذي استمر نصف قرن حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، ما جعلها شبه جرداء ، اذ امتص المحتلون كل خيراتها وجعلوها مورد غلالهم وسوقا لمصنوعاتهم . كانت زراعتها يومذاك حسنة . اما صناعتها فبطيئة التطور ، مقتصرة على سد حاجات اليابان وقائمة في معظمها على تصنيع الانتاج الزراعي ولا سيما قصب السكر . وقد اصابتها الحرب بضرر عظيم الى جانب ما نهبـــه اليابانيون المحتلون من خيراتها . وازداد التضخم في مؤشر اسعار الجملة في عاصمتها تايبه الف ضعف من سنة ١٩٤٦ الى سنة ١٩٤٩ . فلما انتقلت اليها الحكومة الوطنية بزعامة المارشال شيانغ كاي شيك سنة ١٩٤٩ بدأ التحول العظيم وحشدت هذه الحكومة كل طاقتها ، مع المساعدة الاميركية التي بدأت سنة ١٩٥٠

وانتهت سنة ١٩٦٥ ، في سبيل انماء الجزيرة . وقد انفقت اكثر من ثمانية اعشار هذه المساعدة لتأمين حاجات الاستهلاك والمواد الاولية ، ولم يخصص سوى القليل الباقي لوسائل الانتـــاج .

واخــذ التضخم يتضاءل ، فانخفض ســنــة ١٩٥٠ الى ٣٠٠ في المائة ، وسنة ١٩٥١ الى ٦٦ في المائة وسنة ١٩٥٢ الى ٢٣ في المائة . وجعلت مشاريع الانماء الطويلة الامد تحل تدريجيا محل المشاريع العاجلة الرامية الى انقاذ الاقتصاد المتدهور ، فاطمأنت النفوس وانتعشت الآمال وقوي النقد واخذت رؤوس الاموال توظف دونما خوف . وقد نفذت ثلاث خطط للانماء الاقتصادي ، كل منها لاربع سنين ، في ما بين ١٩٥٣ و١٩٦٤ ، وعملت على زيـــادة الانتاج الزراعي والصناعي . وسارعت الحكومة الـــى ازالة تدابير الرقابة الاقتصادية الشديدة ، فاتاحــت فرصة العمل والابداع للقطاع الخاص ، ووضعت سعرا موحــدا للقطع الاجنبي وخففت من وطأة القيود عن التجارة .

ثم انها شجعت التصنيع بتقديمها القروض الى اصحاب المشاريع الصناعية واعفائهم من الضرائب وتقديم الارض اللازمة لمعاملهم وما شاكل ذلك مـــن اسباب التنشيط والتشجيع ، فاعطت هذه السياسة اكلها في السنين الاخيرة : ارتفع عدد وظائف العمل من مليونين و٩٠٠ الف سنة ١٩٥٢ الى ٣ ملايين و٧٠٠ الف سنة ١٩٦٤ . وازداد صافي الدخل القومي بين ١٩٥٢ و١٩٦٤ بنسبة ١٣٤،٩ في المائة ودخل

الفرد الصافي ٥٩ في المائة . وبلغ معـدل ازدياد الدخل الوطني الصافي ٧،٣ في المائة ومعدل دخل الفرد ٣،٩ في المائة وذلك رغم الازدياد السريع في عدد السكان .

وازدادت الصادرات خمسة اضعاف . فبعد ان كانت ٩٣ مليون دولار اميركي سنة ١٩٥٠ ارتفعت الى ٤٦٣ مليونا سنة ١٩٦٤ . وامكن ضبط نسبة ارتفاع الاسعار وقصرها على ٨،٨ في المائة . وبلغ كامل الانتاج الوطني سنة ١٩٦٤ حوالي مليارين و٣٥٠ مليون دولار ، اي بمعدل زيادة بلغ ١٠،٢ في المائة سنويا . وفي غضون السنين الاربع (١٩٦٠ — ١٩٦٤) بلغ معدل ازدياد الانتاج الوطني ٨،٦ في المائة وهو معدل ممتاز . فهذا المعدل في اعوام ١٩٥٦ — ١٩٦٢ لم يتعد في الولايات المتحدة الاميركية ٢،٨ في المائة ، وفي بريطانيا ٢،٣ في المائة .

وسرعان ما اخذت الصناعة تتقدم على الزراعة . وظل هذا التقدم متواصلا حتى ان وظائف العمل في الصناعـــة ازدادت في خمس عشرة سنة بنسبة ١٢ في المائة . وساهمت الصناعة والزراعة معا مساهمة كبيرة في تحسين احوال الطبقة الوسطى المتزايدة سنة بعد سنة ... ولاذكر هنا ان عدد اصحاب الملايين في تايبه قليل ، وان عدد الفقراء اقل منه . فسواد الناس الاعظم ميسورون ومعظمهم يملكون جهاز تلفزيون الى جانب جهاز الراديو والاثاث والمعدات الحديثة . وقد رأيت عائلات اربابها من العمال العاديين تحتل مقاعد الدرجة الاولى في دور السينما والمسارح ، ويرتدي افرادها ثيابا من النوع الجيد .

واذا كان الانتـــاج الزراعي محتفظا بمكانه البارز في الصادرات (حصيلة تصدير السكر ١٣٥،٤ مليون دولار اي ٢٩،٢ في المائة من مجموع الصادرات سنة ١٩٦٤) فالانتاج الصناعي قد اعطى هو الآخر نتائج طيبـة ، خصوصا في الصناعة المتعلقة بانتاج الارض وما تحت الارض كمحفوظات الاناناس والفطر والارز والموز والمعادن والاخشاب . وقد بلغت الصادرات الصناعية ٦٠ مليون دولار من النسيج و٢٣ مليونا من المنتجات الكيمائية في العام ١٩٦٤ ، مع انه لم يكن لهذه الصناعات وجود قبل عشر سنين اللهم الا في بعض المشاريع الصغيرة اليدوية .

لقد تعمدت اثناء تجوالي في اسواق جزيرة تايوان ، وحتى في اسواق الجزر التابعة لها ، ومنها جزيرة كيموى ان اقف على انواع المصنوعات المحلية ولا سيما الدارجة الاستهلاك ، فادهشني حقا ما رأيت ... انهم ينتجون كل شيء ، من الابرة الى السفينة ، مـــرورا بالسيارات التي تجمع في الجزيرة . وتؤمن الصناعة حاجات السكان وتصدر ما يفيض عنها . وقد تجاوزت نسبة النمـو الصناعي نسبة النمو الزراعي . فقد ارتفع الانتاج الزراعي بين ١٩٥٢ و١٩٦٤ بنسبة ٧٨ في المائة اي بمعدل ٤،٩ في المائة سنويا . اما الانتاج الصناعي فقد ارتفع في المدة عينها بنسبة ٣٠٤ في المائة اي بمعدل ١٢ في المائة سنويا .

ولكي نكون فكرة واضحة عن هذا التطور ونتلقن الدروس منه ، لا بد من ان نقف على بعض تفاصيله :

ينقسم تطور الصناعة الى ثلاث مراحل : الاولى بين ١٩٤٦ و١٩٥٢ ، والثانية بين ١٩٥٣ و١٩٦٠ والثالثة بين ١٩٦١ و١٩٦٤ . وكادت المرحلة الاولى تقتصر على ترميم الجهاز الصناعي وتحسينه وتوسيع ما امكن توسيعه منه . وقد تجاوز انتاج صناعات الطاقة الكهربائية ومطاحن القمح والاقطان والصودا الكاوية والاسمدة والمنتجات النفطية والاسمنت في العام ١٩٥٢ ما كان عليه قبل الحرب .

واحرزت الخطة الرباعية الاولى لانماء الصناعة بين ١٩٥٣ و١٩٥٦ تقدما ملموسا في الصناعة ولا سيما صناعة الطاقة الكهربائية والاسمدة والنسيج . وانشئت صناعات جديدة كصناعة الزجاج والمصابيح الكهربائية اللامعة والعدادات الكهربائية . وتحسنت احوال عدة مؤسسات ماليا . وزاد الاقبال على توظيف الرساميل الخاصة في الصناعة ، وعملت الحكومة على تشجيع القطاع الصناعي الخاص .

ونفذ المشروع الرباعي الثاني بين ١٩٥٧ و١٩٦٠ وانصب الاهتمام فيه على استغلال الموارد الطبيعية وعلى انماء الصناعات التصديرية . وعنيت الحكومة عناية خاصة بتشجيع التنسيق بين الزراعة والصناعة كبعث صناعة تعليب الاناناس وانشاء مصانع لاستخراج بعض المواد الكيميائية من الشجر والنبات ولا سيما الكاربور والكلورين ، وكلاهما ضروري لصنع الخيوط الاصطناعية والاستغناء عن استيرادها ، وغير ذلك من الصناعات التحويلية المرتبطة بالانتاج الزراعي .

وخطت البلاد خطوة كبيرة في زيادة انتاج الطاقة الكهربائية والفحم وتعليب الاناناس والنسيج وصناعة الورق والخشب المتعاكس والواح الخشب والصناعة الكيميائية والاسمدة والزجاج والاسمنت والحديد والفولاذ والمعدات الكهربائية .

ثم كانت الخطة الانمائية الرباعية الثالثة التي طبقت سنة ١٩٦١ وجاءت تكمل الخطتين السابقتين وتركز الاهتمام على ايجاد اسواق للمنتجات الصناعية المتزايدة بتزايد التوسع الصناعي . ورسم منهاج لتشجيع توظيف رؤوس الاموال الاجنبية في الصناعة وتسهيل الاعمال لاجتذاب هذه الرساميل الى جانب الرساميل الوطنية .

واستمرت الصناعة تنمو ورؤوس الاموال الاجنبية تتدفق لتوظف فيها وهي مطمئنة الى النظام الحر والاستقرار السائدين في البلاد . وقد سجل الانتاج في قطاعات الصناعة الاساسية ارقاما مدهشة . فانتاج الطاقة الكهربائية بلغ خمسة مليارات و ٩١٤ مليون كيلوات ساعة سنة ١٩٦٤ ، اي بمعدل ٤٩٠ كيلوات لكل نسمة ، وهو من اعلى الارقام المسجلة في آسيا كلها . وهناك محطتان كهرمائيتان تنشآن اليوم وطاقة احداهما ٢٠٠ الف كيلوات والثانية ٣٠٠ الف كيلوات ، فيما تخطط الوزارة المختصة لانشاء مولدات كهربائية بالطاقة الذرية .

كذلك اصابت المواصلات ، من طرق وسكك حديد ، نصيبا كبيرا من حملة التطوير والتحسين والانشاء . ومن

مشاريـع الطرق والجسور البارزة التي تحققت في السنين الاخيرة ، الطريق العريضة التي تجتاز البلاد وطولها ٣٤٦ كيلومترا ، وجسر سيلو الكبير وطوله كيلومتران ، وطريق ماك ارثر العريضة التي تربط تايبه بكيلونغ .

وسعيا في تنشيط الصناعة السياحية انشيء منذ ١٩٦١ قطار سريع اسمه « اهلا وسهلا » وفيه كل اسباب الراحة وبعض حافلاته مكيفة الهواء وبعضها الاخر مزود بمطاعم تقدم اطعمة صينية واوروبية . ومن مغريات ركوب هذا القطار ان فيه مضيفات حسناوات يعنين بامور المسافرين ويقدمن اليهم الشاي والمرطبات والحلوى ومجلات التسلية. وقد ازدهرت السياحة في فورموزا وسائر جزرها في السنين العشر الاخيرة . وتجاوز عدد السياح في العام ١٩٦٦ ثلث مليون والمتوقع ان يبلغ نصف مليون في غضون سنة واحدة .

وهكذا تتطور مختلف الصناعات بسرعة مدهشة وتشق الطريق الى صناعة ثقيلة يجري التخطيط لها بهمة لا يتطرق اليها الوهن . ويتضح مدى التوسع الصناعي من تركيب صادرات الصين الحرة . ففي العام ١٩٥٢ كان التصدير الصناعي ، ما عدا السكر والمنتجات الزراعية المصنعة، اربعة ملايين و ٣٢٠ الف دولار اميركي . وفي العام ١٩٦٤ ارتفعت الصادرات الصناعية الى ٩٢٥ مليون دولار اي ٣٩،٩ من مجموع الصادرات . وارتفعت الصادرات الزراعية المصنعة ولا سيما السكر من ٧٣ مليونا الى ٩٣٠ مليون دولار في المدة ذاتها .



شركة تاتونغ الهندسية هي اكبر واقدم منتجي المعدات الكهربائية في جزيرة تايوان ، مقر الجمهورية الصينية الموقت . ومن منتجاتها البرادات والتلفزيونات والمراوح الكهربائية ومكيفات الهواء وآلات التسجيل والراديو والترانزستور والغسالات الكهربائية وطباخات الارز الكهربائية وسائر المعدات الكهربائية الحديثة . ويظهر في الصورة بعض منتجات شركة تاتونغ من البرادات والطباخات .

وبهذا انقلب وضع الميزان التجاري . فبعد ان كان في عجز دائم ، اصبح في صالح الاقتصاد الوطني اذ زاد الصادر على المستورد . ولقد كان العجز التجاري سنة ١٩٥٤ اكثر من مجموع قيمة الصادرات فانخفض سنة ١٩٦١ ثم عاد فارتفع الى ٨٨ مليونا سنة ١٩٦٢ ، ولكنه انعدم سنة ١٩٦٣ وتحول الميزان التجاري تماما الى صالح البلاد اذ بلغ الفائض من التصدير ٢١ مليون دولار اميركي على قيمة السلع المستوردة . وفي العام ١٩٦٤ سجلت الصادرات رقما قياسيا هو ٤٦٣ مليون دولار اي بزيادة اكثر من مائة مليون عن العام ١٩٦٣ ، وكان ميل الميزان التجاري الى صالح البلاد ٥٣ مليون دولار .

ومن احدث ارقام الاحصاء للعام ١٩٦٧ ، ان احتياطي العملات الاجنبية القابلة للتحويل ، في مصرف الصين المركزي ومصرف تايوان قد ازداد ٦٥ مليونا و٨٠٠ الف دولار اميركي في النصف الاول من ذلك العام ، اي في نهاية حزيران ١٩٦٧ ، عما كان عليه في ٣١ كانون الاول ١٩٦٦ . كذلك سجلت التجارة الخارجية التي يمولها مكتب القطع الحكومي في المدة ذاتها زيادة في قيمة الصادرات على المستوردات بلغت ٦٣ مليون دولار ، فيما سجل الميزان التجاري العام في هذه المدة فائضا قدره نصف مليون دولار . وبلغت الصادرات من السلع العشر الكبرى ، الارقام التالية في النصف الاول من العام ١٩٦٧ :

النسيج : ٥٥،٧ مليون دولار اميركي اي بزيادة ٢٠،٧ مليونا عن المدة ذاتها من سنة ١٩٦٦ .

الموز : ٤٣ مليون دولار اي بزيادة ٥،٤ ملايين .

معادن وآلات : ٣٤،٦ مليونا اي بزيادة ١١،٥ مليونا.

الاخشاب : ٣١،٤ مليونا اي بزيادة ٣،٣ ملايين .

السكر : ٣٠ مليونا اي بنقص ٢،٧ مليونين .

الكيميائيات : ٢٦ مليونا اي بزيادة ٩،٢ ملايين .

القطر المعلب : ٢١،٧ مليونا اي بزيادة ٤ ملايين .

الاسمنت ومعدات البنـــاء : ١٢،٣ مليونا اي بزيادة ٢،٣ مليونين .

الارز : ١١،٢ مليونا اي بزيادة ١،٢ مليون .

الهليون المعلب : ١١ مليونا اي بزيادة ٨،٢ ملايين .

سلع اخرى : ٦١ مليونا اي بزيادة ٤،٣ ملايين .

فيكـون مجموع الصادرات للنصف الاول من العـام ١٩٦٧ قد بلغ ٣٣٨ مليون دولار اي بزيادة ٦٥ مليونا .

اما توظيف رؤوس الاموال الاجنبية فقد بلغ رقمـا لا سابق له نتيجة التوسع الصناعيوالسعي الىانتاج مصنوعات ادق وافضل ، اذ تجاوز ٣٠ مليارا و٣٦٠ الف دولار سنة ١٩٦٥ ، منها ٢٨ مليون دولار وظفتهـا وحدهـا الشركـة الكيميائية المتحالفة التي انشأت مصانـع لخيوط النايلون والداكرون ، تضاف اليها ٢٢ مليونا اخرى وظفتها الشركة ذاتها في مصنع للاسمدة .

وهناك مزيد من رؤوس الاموال يتدفق على البلاد ويوظف فيها منذ بدء تنفيذ الخطة الانمائية الرابعة سنة ١٩٦٥ واطراد سير البلاد في طريق ازدهار لا نظير له في القارة الاسيوية كلها باستثناء اليابان . وقد شجعت الحكومة توظيف الاموال الاجنبية بكل الوسائل . فهناك قانون يعرف بقانون العاشر من ايلول ١٩٦٠ ويتضمن اسباب تشجيع عديدة لرؤوس الاموال الاجنبية كاعفاء الارباح من الضرائب مدة خمس سنين ، وخفض الضريبة على رقم الاعمال من ١٨ في المائة الى ١٠ في المائة ، وحرية تحويل الارباح الى الخارج، وتقسيط الرسوم الجمركية وتسهيل الحصول على الارض اللازمة للمصانع .

ومعظم موظفي الرساميل هم من الولايات المتحدة واليابان. وتنصرف جهودهم على الخصوص الى اقامة مصانع للادوية والمواد الكيميائية والتجهيزات السلكية واللاسلكية والمعدات الكهربائية . وقد اخذ اهتمام اصحاب رؤوس الاموال من خارج البلاد يتجه اخيرا نحو انشاء المساكن واقامة مصانع للمواد البتروكيميائية وغير ذلك من مشاريع الصناعة الثقيلة التي تدخل الان طور الانطلاق بعد الاكتفاء من الصناعة المتوسطة والخفيفة .

حدثني الاستاذ شارلز ياو ، الخبير الاقتصادي الصيني وعضو مجلس التعاون الاقتصادي والتنمية الدولي ، عن مشاريع الصناعة الثقيلة ، قال :

ـ اننا الان في سبيل الشروع بالتصنيع الثقيل لانتاج المعدات والآلات الضخمة التي ما نزال نستوردها ، ولتطوير الصناعة البتروكيميائية وتوسيعها (تستورد الصين الوطنية النفط من الكويت) . وعندنا مركزان يعتبران نواة للصناعة الثقيلة ، احدهما في كاوشونغ ، اكبر المراكز التجارية والصناعية في البلاد ، والاخر في مياولي . ولدينا اسباب تشجع على التصنيع الثقيل ، وابرزها اليد العاملة الماهرة وانتاجنا من الغاز الطبيعي الذي يتعدى ثلاثين مليار متر مكعب ، ووجود نواة صناعة فولاذية نامية .

وفي مياولي الان مركز للصناعة البتروكيميائية . وسنقيم مركزا آخر لهذه الصناعة . اما النفط فقد اكتشفنا منه كمية قليلة تقدر بحوالى الف برميل في اليوم لا اكثر . ولا حاجة بي الى ان اقول ان الاستثمار بهذه الكمية الضئيلة غير اقتصادي . على ان التنقيب عن النفط مستمر . وهناك من البشائر ما يدل على وجود كميات تصلح للاستثمار اقتصاديا .

ولسوف نوسع صناعة الفولاذ ونجد اسواقا جديدة نصدر اليها المنتجات الفولاذية ، خصوصا في بلدان آسيا الجنوبية الشرقية . ومعظم منتجاتنا الفولاذية هي معدات للبناء نصدرها الى فيتنام الجنوبية وبعض البلدان الاسيوية الاخرى . ونحن في حاجة الى الآلات الاساسية لتوسيع هذه الصناعة . واكبر مراكز صناعتنا الفولاذية مركز كيلونغ في الشمال .

وهناك صناعة بناء السفن التي تتطور باطراد ومركزها الاكبر كاوشونغ ، وصناعة السيارات المتقدمة هي الاخرى والتي نحرص على انمائهـا وتسهيل انشاء مصانع تجميع لشركات عالمية جديدة . وكل هذه الصناعات الثقيلة تحتاج الى رؤوس اموال ضخمة . وقد جاء تعديل قانون توظيف رؤوس الاموال سنة ١٩٦٥ يشجع موظفي الاموال من الخارج على المساهمة بمشاريع التصنيع الثقيل في الصين الحرة . ويقضي التعديل باعفاء الآلات والمعدات المستوردة من الرسوم الجمركية بشرط ان لا يكون لها مثيل ينتج محليا ، وان يكون رأس مال المؤسسة التي تستوردها اكثر من مليونين وربع من الدولارات الاميركية .

ورغبة في تشجيع المؤسسات الصناعية الصغيرة على اندماج بعضها ببعض لتشكل صناعات اكبر واثقل واقدر على الثبات في وجه منافسة الاسواق العالمية ، نص القانون المعدل على الترغيب في هذا الاندماج بالاعفاء الضريبي ، وباعفاء صادرات المجموعة المندمجة من الرسوم على رقم الاعمال ، وبتسهيل الحصول على مساحات الارض اللازمة للتوسع الصناعي .

ولقد كانت الارباح من توظيف الرساميل الاجنبية الصغيرة ، طائلة في البداية . ولكن ذلك العهد انتهى الان ، واصبحت الحاجة ماسة الى رساميل ضخمة تتناسب والتوسع الصناعي الثقيل . اما فوائد التوظيف الاخرى

فباقية على حالها ، وهي تجعل من تايوان مكانا صالحا مأمونا ومضمون الربح لاي توظيف .

* * *

هذا بعض من كثير عرفتــه وشاهدته واعتبرت به في الجمهورية الصينية . وقد كونت منه رأيا لا يشوبه لبس ولا ابهام ، وهو ان امة بهذه الكفاءة والهمة والايمان قادرة على بلوغ هدفها من تحرير برها الواقــع في براثن الشيوعية ، وتحقيق مثلها الاعلى وهو بناء مجتمع ينعم بالكفاية والرفاه والاستقرار .

ولسوف احدثك عن تلك الهمة والكفاءة والايمان في ما تبني الامــة الصينية الحرة وتنشىء ، بعدمــا احدثك عن مجتمعين آخرين يبنيان ويناضلان من اجل بقائهما ونجــاة تراثهما وحريتهما وكيانهمــا من الغزو الشيوعي : تايلانــد وهونغ كونغ .

الفصل الثالث

مدينة الملائكة : بانكوك

—■—

بانكوك نسيج وحدها ... احببتها من قبل ان اراها لما سمعته من اخبار سحرها ومعابدها وعادات اهلها حتى سميت بمدينة الملائكة ... بدت لي من النظرة الاولى شبيهة بمدينة من مدن شرقنا العربي . فلما تعمقت فيها وخرجت الى ضواحيها ورأيت بعض معابدها ومعالمها ، وجدتها تختلف عن اية مدينة سواها بروائع ما جمعت من آثار الاقدمين وفنونهم المعمارية العجيبة .

يكاد كل شيء في بانكوك يكون مجنحا ، حتى تماثيل الاسود والتنانين والافاعي . وكل اثر من آثارها يشهد بحضارة وفن في البناء والزخرفة عريق .

والتايلانديون حريصون على هذه الصروح والآثار حرصهم على اقدس تقاليدهم ، يتعهدونها بكل رعاية ويتخذونها اطارا لاكبر اعيادهم . وانه حقا لاطار يبعث على الذهول بجماله وعظمته وروعة اتقانه . لذلك لم يدهشني ان اجد رجالا احرارا ، وتايلاند تعني ارض الاحرار ، يستهينون الموت كل يوم ، منذ تسع سنين ، ليحافظوا على

ارضهم من الطغيان الشيوعي ويبعدوا آفته عن عاصمتهم الجميلة ويتركوها ابدا مرتع الحرية والجمال والابداع ، ومقصد الزائرين من كل اطراف الارض .

* * *

تمثل تايلاند (سيام) او بلاد الاحرار كما يعنيه اسمها، الجناح الجنوبي الغربي من الطوق الصيني الشيوعي الذي يحاول ان يطبق على جنوب آسيا الشرقي . لذلك جعل الشيوعيون ما طالوه من اطرافها ميدانا لحرب عصاباتهم وزرعوا الموت والدمار في اجزائها الشمالية الشرقية القريبة من اللاووس والكامبودج ، محاولين اغتصاب الحكم والتسلط على رقاب العباد . ولكن احرار البلاد ، شأنهم شأن احرار الصين ، وقفوا في وجوههم يقاومون غاراتهم دونما هوادة ، ويسدون على بيكين منافذ التوسع في هذا الجزء الحساس من القارة الاسيوية .

ولقد استطاع الجيش والمتطوعة ، آخر الامر ، ان يسيطروا على مناطق الاضطراب حتى في الادغال وان يجمدوا المد الشيوعي ويبقوه محصورا عند ضفاف نهر الميكونغ في سكوناكوم وناكورن بانوم واودورن .

وتقبض الحكومة ورئيسها العسكري تان اوم كيتي كاتون بيد من حديد على زمام الحكم لحفظ الامن وصون تقاليد البلاد وثرواتها وحماية الصناعة السياحية التي تدر

عشرات الملايين على البلاد كل سنة . ويكاد الزائر لا يشعر بوجود احكام عرفية عمرها تسع سنين . فالحرية مطلقة في بلاد الاحرار الا للشيوعيين واعوانهم . وحرية الاديان مقدسة يرعاها الملك نفسه وحكومته . وفي تايلاند اربعة ملايين من المسلمين وحوالى ثلث مليون مسيحي ينعمون بحريتهم الدينية مطلقة . وتحج الى مكة المكرمة كل سنة افواج تتجاوز الفي حاج . ويقيم معظم المسلمين في جنوب البلاد قرب الملايو . ولهم مساجدهم وهيئاتهم الدينية وجمعياتهم . وهم على اتصال بسائر مسلمي آسيا ، من الحجاز حتى اطراف الصين الشيوعية التي ضربت بين مسلميها ومسلمي العالم ستارا حديديا صفيقا .

اما البوذية التي يدين بها تسعة اعشار سكان تايلاند، فتختلط تعاليمها بتراث البلاد الثقافي العريق ، وتمثل معابدها السيامية التي يرجع تاريخها الى الفي سنة ، اجمل معالم البلاد . وللبوذية دور مهم في حياة الشعب وعاداته وتقاليده . وهي اساس من اسس تعليم الشبيبة وتثقيفها. فالشباب من كل وسط وكل مجتمع مفروض عليهم ان يدخلوا الدير ويمضوا فيه ثلاثة شهور كرهبان يعيشون عيشة التقشف وتهذب اخلاقهم ويتعلمون مكارم الاخلاق . ويمضي الشبان هذه الشهور الثلاثة عادة في الازمنة المحرمة ، ازمنة الصيام التي تصادف موسم الامطار ...

اتيحت لي ذات صباح ، وقد نزلت الى المدينة مبكرا ، فرصة لقاء عدد من هؤلاء الرهبان حليقي الرؤوس بأثوابهم

الزعفرانية المتقشفة ، وعلى اكتافهم الرداء الاصفر الطويل ، وهم يمدون ايديهم بصحون كي يملأها الناس بما تجود به اريحيتهم من طعام او شراب دون سواهما ، اذ يحرم الدين على الراهب ان يطلب المال او يقبله من احد .

ويمتاز الراهب التايلاندي بالحديث الموزون والتصرف الرزين والاناة في الحركة والصبر على الحرمان ، وكلها فضائل تجعله رجلاً قوي الشكيمة ، صبورا قادرا على تحمل الصعاب في معترك الحياة . . .

تأملت طويلا في حال هؤلاء الشباب ونظام تدريبهم الشبيه بالتدريب العسكري ، فادركت سر نشاط الشعب التايلاندي ودأبه على العمل وروح الجد السائدة في دوائره ومتاجره وحقوله .

واللغة في تايلاند مشتقة من السنسكريتية (الهندية) وتشبه اشكال حروفها ونسق كتابتها اشكال الحروف السريانية ونسقها . على ان اللغة الانكليزية هي المعتمدة في تفاهم الاهلين مع الاغراب .

* * *

يرجع تاريخ العاصمة بانكوك الى سنة ١٧٨٢ حين جعلها الملك شاو بيا شاكري ، مؤسس الاسرة المالكة في البلاد اليوم والمعروف بلقب راما الاول ، عاصمة للمملكة . وقد اقام فيها الملوك منذ ذلك الحين ويقيم فيها اليوم الملك بوميبول ادولياده ،

رئيس الدولة وزعيمها الروحي معا .

اول ما يستوقف الزائر في المدينة سعة شوارعها والطرق المؤدية اليها، وتلك الطريق-الجسر العظيمة الممدودة وسط العاصمة والتي انشئت قبل نحو سنتين حين اقيمت دورة الالعاب الرياضية الاسيوية في بانكوك ، لتخفف من وطأة ازدحام السير .

لقد حلت هذه الشوارع والطرق العصرية ، في حركة السير والنقل ، محل مئات الاقنية التي كانت ، الى عهد غير بعيد ، هي المعتمدة في هذه الحركة والتي تحيط بالمدينة وتتغلغل داخلها حتى سميت بنكوك ببندقية الشرق الاقصى ... واخذت الاقنية تردم شيئا فشيئا والمدينة تتخلص من بعض مياهها الآسنة .

وتنتشر على جانبي الشوارع الكبرى متاجر فيها من صنوف اشغال اليد والرسوم وجلود الافاعي والتماسيح والحرائر وتماثيل الاساطير والرسوم واللوحات ما يحير العقول . وتتخلل المتاجر شبه حدائق صغيرة تباع فيها سلال من اجمل الزهور الاستوائية تكاد لا تخلو من زهرة اوركيده او ضمات من هذه الزهرة الجميلة النادرة .

ومن المتع الشهيرة في بانكوك حماماتها . وقد اوصاني صديق في تايبه الا أفوتها في زيارتي . فلما زرتها وجدتها ممتعة حقا : تدخل الحمام وتختار ركنا فيه. فمتى استرحت

هنيهة وبدأت تتراخى ، تنتقي فتــاة من عشرات الفتيــات المصنفات بالارقام ، فتأتيك بعد حين ، مرحبة باسمة . ثم تلقيك على البلاط وتأخذ في تدليكك عضوا عضوا ومفصلا مفصلا ... تقلبك ذات اليمين وذات اليسار ، وترميك على ظهرك ثم تكبك عــلى وجهك فكأنك ريشة تلعب بهــا يدان بارعتان خبيرتان ... فاذا ما قامت عنك شعرت بكل خلية من خلاياك تنبض بحياة جديدة ونشاط عجيب .

والفتاة التايلاندية بجمالها الشرقي الاسمر وقوامهــا المشوق ونظراتها الحالمة الغامضة ، من اجمل من عرفت من نساء الارض ... ابتسامتها سحر حلال . كلماتها ارق من غلالة نومها . تكاد في مشيتها لا تلامس الارض . خفيفــة رشيقة كأنها دمية تشتهي ان تقبضها ملء يدك .

حتى اولئك الفتيات اللواتي لا يخلو منهن مربع مــن مرابع الليل في الدنيا كلها ، يختلفن عن مثيلاتهن بالوداعة والرقة وخفة الظل . امــا اندية بانكوك الليلية فتختلف عن سواها بجو ساحر واطار عجيب تزينه رسوم بديعة تجمع الجرأة العارية الى جمال التصوير والتعبير ...

اما اروع ما في بانكوك فمعابدها المنتشرة في قلب المدينة وفي الضواحي . انها لا تقل عن ثلاثمائة ، واعظمها ما يقع في حرم القصر الملكي الكبير . انها اشبه بقصور الاساطير ، او هي قصور الاساطير عينها ... هذا معبد الزمرد تنظر اليه فتقف مشدوها امام عظمة هندسته وجمال نقوشه . انــه

المعبد الشهير باسم « فات براكيو » الذي يضم تمثالا لبوذا من حجر اليشم الازرق الداكن ، يرتدي ثوبا لكل موسم من مواسم السنة ، موشى بخيوط الذهب ومحلى بالجواهر . وتنتشر عند اقدام التمثال في اسفل الهيكل العظيم شجيرات ذهبية وتماثيل من الذهب الخالص يبلغ بعضها حجم الانسان الطبيعي ، وطائفة من مختلف آنية الزينة والتكريم من الذهب والفضة والبلور والصدف .

وتزين جدران المعبد رسوم تمثل ادوار حياة بوذا فيما تحلي ابواب المعبد نقوش رائعة من الصدف قال لي احد اصدقائي الديبلوماسيين الالمان في بانكوك انها اجمل ما صنعته يد البشر في تايلاند .

وتحيط بمعبد الزمرد وترتفع منه اعمدة مدرجة رائعة الهندسة زاهية الالوان في خليط من الاخضر والوردي والعاجي، بينما تزين اطراف السقوف المثلثة رؤوس كرؤوس افاعي الناغا الصالحة التي ترمز الى المطر والخير والبركة .

اما مداخل المعبد فمزدانة جدرانها بتماثيل ورسوم اسطورية مدهشة ، وتنتصب على ابوابها تماثيل اسود برونزية كأنها رابضة هناك لتحرسها من الدخلاء .

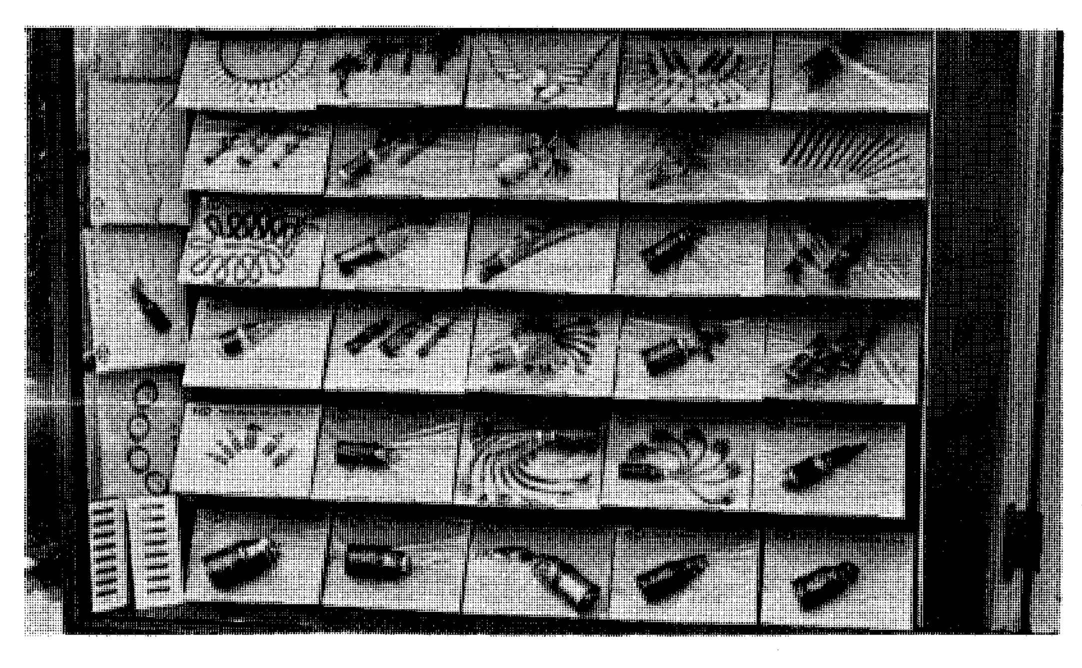
وتزدان المجموعة الهندسية العجيبة التي تشكل المعبد، بصرح مدرج كأنه برج بابل ، مطلي بالذهب ، والى جانبه برج اصغر منه يلمع فيه حجر اليشم كالزمرد تحت اشعة

الشمس ... فاذا نظرت الى مجموعة القصر الكبير والمعبد العظيم كتلة واحدة رأيتها صورة هندسية من اعجب واروع ما رأته العين . فكأنها مجموعة هائلة من الحلى صاغتها ايدي آلاف الآلاف من امهر الصاغة ...

ولا يقل معبد « اسالاها بوذا » روعة عن هذا المعبد ، ويمتاز بتمثال عظيم للاله بوذا وهو متربع على هيكله بحجم عشرين رجلا تحيط به هالة من نور تمثل تنينين من تنانين الخير .

ويطول بي الوصف اذا مضيت في سرد ما شاهدته من عجائب معابد بانكوك وغرائبها . على ان ما لا يمكن ان ينساه المرء تلك الآثار المدهشة في المتحف الوطني ولا سيما معبد بوذا الضاحك الذي يضم تمثالا لبوذا يبهر النظر لمعان ذهبه، وقد احاط به هيكل من الخشب الاحمر المحفور على شكل تاج عظيم يكلل هامة التمثال واحاطت به الرسوم وتربعت تحت اقدامه طائفة من التماثيل تحف بها مجموعة من الآنية الذهبية .

كذلك لا انسى معبد المرمر المبني صرحه الاكبر من المرمر الايطالي الابيض على اعمدة رومانية ، والبالغة سقوفه اجواز السماء تلمع كالذهب الابريز تحت اشعة الشمس ، والمنتشرة داخله تماثيل لبوذا تتجاوز الخمسين وكل منها يختلف عن الاخر حجما ورمزا وصورة .



نماذج من منتجات الاسلاك الكهربائية والكـــابلات التي تصدر تايوان فائض الانتاج منهـــا الى بلدان جنوب آسيا الشرقي

ومن جميل اساطير التايلانديين مـا يخيل اليك انـه « بيوت حمام » : بيوت جميلة تقوم على اعمدة مزخرفة وتقع عند مداخل الدور ، وطير الحمام آخر ما يسكنها .

سألت صديقي الالماني عنها فقـال انها بيوت صغيرة تنشأ عند اقامة البناء كي تسكنهـا الارواح الطيبة لتطرد الارواح الشريرة ... وتواجه هذه البيوت اهم جناح في الدار وهو جناح غرف النوم ، وتبنى على شكل صليب غليظ وتزين اعلاها نقوش ورموز ... ويقدم اليها اصحاب الدار كل يوم تقدمـات للارواح من أكل البيت والحلوى وعيـدان الند والزهور والبخور .

* * *

وقفت مع رفيقي الالماني عـلى مطل عنـد نهر بانكوك نسرح النظر في مياهه الزرقـاء الصافية ونرقب طرفـا من السوق العائمة التي تشتهر بها المدينـة ، والمراكب الملكية الجميلة التي تنقل الموكب الملكي عبر النهر في مهرجان تقديم الهدايا الملكية الى الاله كل سنة .

والسوق العـائمة هي سلسلة مراكب نهرية صغـيرة تتجمع كل صباح ، ناقلة الفواكـه والخضار وشتى انواع الاطعمة ليشتري منها الناس حاجات يومهم . والمرأة سيدة هذه السوق دون منازع . ومعظم النساء فيها يعتمرن قبعات اشبه بالمظلات لتقيهن اشعة الشمس . وتبدو لك السوق العائمة بمجموعها كسوق من اسواق بغداد القديمة وقـد

اكتظت بالناس والسلع حتى كادت المتاجر او المراكب تنوء بحملهم .

والفواكه لذيذة وكثيرة في بانكوك . والتايلاندي ذواقة يحب تشكيل طعامه . والفاكهة الاستوائية هي الغالبة على سواها . وقد ادهشني حقا ان وجدت فاكهة القشطة اللذيذة مثلا تباع بارخص الاثمان حتى انك لتستطيع ان تشتري بقيمة رطل منها في بيروت عشرة ارطال في بانكوك .

* * *

والرقص الايقاعي على انغام الموسيقى الوطنية الوترية الشاذة في تايلاند من اهم معالمها . وتبرز فيه على الخصوص حركات الذراعين واليدين . وتعدد الاذرع ظاهرة غريبة في تماثيل البلاد وبعض رقصاتها . وتمثل حركات اليد ، من بسط وتعريج وتمويج ، طابعا من طوابع الرقص تمتاز به التايلانديات . وهن يؤيدينها برشاقة ونعومة فيهما كل السحر والدلال .

وثوب الرقص هو الاخر من خصائص التايلانديين . انه محلى بآلاف الزراكش واللوامع ، ومطعم بالمجوهرات والخلاخل وكلها يرقص ويتلوى مع الراقصة فيضفي على فنها سحر الملائكة وفتنة الشياطين !

ولا يقتصر الرقص التايلاندي التقليدي على المسارح ودور الثقافة والمدارس ، بل يتعداها الى الحفلات الخاصة

وحتى الى الاندية الليلية الكبيرة . ولقد ادهشني ما روي لي من ان ثوب رقص كاملا من الطراز المتقن يكلف آلاف آلاف البهتات . والبهت هو عملة البلاد ، وكل عشرين منه بدولار.

والجميل في زي الرقص التايلاندي هو التاج المدبب الطويل المزين بالف حلية وحلية والمعقود تحت ذقن الراقصة وقد رشقت زهرة او زهرتان في احد جانبيه . اما الحرائر المصنوع منها الثوب فشهيرة في العالم كله شهرة القطط السيامية .

ولا تحسبن هنا ان القطط السيامية تسرح في شوارع بانكوك وتمرح ... فقد حاولت طويلا ان اجد واحدة منها فلم اوفق . وقيل لي ان هذه الفصيلة اصبحت نادرة لكثرة ما اقتناها الاغراب حتى باتت سيام اخر مكان تجد فيه قططا سيامية !

* * *

كنت آتيا من كلكتا في الهند حين وصلت اول مرة الى بانكوك ... تركت هناك ارضا داكنة حافلة بالمستنقعات يشويها الحر شيا فيما السماء تهطل كأفواه القرب ، ومجتمعا متخلفا ما زال بعض الناس فيه يجرون عربات الاجرة كالحيوان ، وبعضهم الاخر يموت جوعا على قارعة الطريق... فلما وصلت الى مشارف بانكوك طالعتني حقول خضراء مخططة تخطيطا جميلا يستوقف الانظار .

وتايلاند مكتفية زراعيا ، وعندها فائض تتاجر به في الاسواق الاسيوية القريبة وحتى في بعض الاسواق البعيدة، ومنها اسواق عربية كالمملكة العربيـــة السعودية والكويت والعراق ولبنان ، اذ تبيعها الاخشاب والارز والذرة والجوت.

والاحراج ثروة عظيمة لتايلاند . فالى جانب اخشابها الثمينة تعيش فيها قطعان كبيرة من الفيلة والدببة والفهود والنمور والثيران المتوحشة والتماسيح وغيرها من الضواري.

والتايلانديون ينعمون ببسطـة وصفـو من العيش لا يعكرهما الا تلك الحرب التي تشنهـا العصابات الشيوعية بتحريض من الصين الحمراء طمعا في التوسع للسيطرة على رقعة جنوب اسيا الشرقي بأسرها . ولتايلاند موقع مهم في هذه المنطقة حتى انها تعد محورا يتوقف على صموده مصير العديد من جاراتها . ويدرك التايلانديون عظم دورهم في صد الغزو الشيوعي فيقاومون مقاومة المستميت دفاعا عن أرضهم وحريتهم وهناء عيشهم ومن ورائها سلامة المنطقة . وقـد جعلوا من عاصمتهم مقرا لمنظمة جنوب اسيا الشرقي التي اسستها تايلاند وماليزيا والفلبين بموجب البيان التاريخي الصادر في الحادي والثلاثين من تموز ١٩٦١ والرامية الى اقامة تعاون اقتصادي واجتماعي وثقافي وعلمي ، والتشاور في الشؤون السياسية التي تهم الدول الاعضاء ، والعمل معا على رفع مستوى شعوبها وتطويرها في مختلف الحقول .

لقد عقدت تايلاند العزم على ان تبقى حرة. واستطاعت بجهود ابنائها ومساعدة اصدقائها ان تطوق الحملة الشيوعية

وتحصرها في مناطق نشاطها تمهيدا لسحقها وتخليص البلاد من ويلاتها ، حتى تبقى « ارض الاحرار » ارض احرار وتظل الرفاهية سائدة ارجاءها، وابوابها الجميلة وآثارها وحضارتها العريقة مشرعة لكل من يقصدها وينشد المتعة والحرية والهناء في ربوعها .

الفصل الرابع

الميناء المعطر والتنانين التسعة

ان تسمع ، شيء ، وان ترى ، شيء آخر ...

سمعنا الكثير عن هونغ كونغ بغرائب عاداتها واطوارها وعجائب شؤونها وشجونها . ولما زرتها اول مرة وقفت مشدوها امام عظمتها وسحرها وخطير شأنها . فلما قصدتها ثاني مرة ظهرت لي بجلاء ، مختلف وجوهها وكثير من احوالها واسرارها ، حلالها وحرامها ، بهجتها وكآبتها ، حلوها ومرها، جمالها وقبحها .

لقد نشأت هذه المستعمرة البريطانية منذ ١٨٤٢ حين تخلت عنها الصين لبريطانيا بمعاهدة نانكين واتبعتها بشبه جزيرة كاولون سنة ١٨٦٠ ، نشأة عجيبة ... كانت تجارة الافيون قاعدة نموها واساس ازدهارها ، حتى بلغت سدس دخل البلد ، الى ان فرض الانكليز الحظر عليها بعد الحرب العالمية الثانية .

واسم جزيرة هونغ كونغ مشتق من تسمية صينية شبيهة به ومعناها المرفأ المعطر . اما كاولون فتعني مدينة التنانين التسعة . وقد اشتق الاسم من وجود ثماني هضاب فيها تضم كل هضبة منها تنينا ، حسب الاسطورة . اما التنين التاسع فله قصة يتندر بها الناس : يروى ان الامبراطور الطفل بنغ كان قبل ثمانمائة سنة يعد الهضاب المحيطة

بالمدينة فوجدها ثماني ، وقال لمن حوله ان ثمانية تنانين تسكنها ! ولكن رئيس وزرائه قال له مصححا : « كلا يا مولاي ... بل انها تسعة تنانين لان الامبراطور تنين في عرف الاساطير ... اذن فانت التاسع ... وانطلقت التسمية منذ ذلك اليوم ورسخت على كر العصور .

وما لبثت المستعمرة ان تحولت الى مركز صناعي وقاعدة لتجارة التصدير الى شبه القارة الصينية ولاستيراد الشاي من الصين . وقد طورها الانكليز ووسعوا تجارتهم منها . ثم تبعهم الاميركيون فسبقوهم في هذا المضمار ، حتى غدت المستعمرة من اكبر مراكز التجارة العالمية وبات مرفأها يعد اكبر مرافىء العالم اطلاقا . ويبلغ سكانها اليوم نحو خمسة ملايين ، تسعة اعشارهم من الصينيين بين مقيمين اصلا ونازحين من البر الصيني ينشدون الخلاص من الحكم الشيوعي الرهيب او يسعون في سبيل الرزق دون سواه .

اول ما يأخذك في هونغ كونغ جمال مرفأها وخليجها وتلك الهضاب المحيطة بها والقائمة عليها سلاسل متلاحقة من الابنية الضخمة وبعضها ينطح السحاب . فاذا ما طفت في شوارعها اعجبت باستقامتها وسعتها وانفراجها ، وبالمتاجر الجميلة المنسقة الكبيرة والفنادق الفخمة المنتشرة على جانبيها .

انها بيروت بعشرة اضعافها ، ونشاط تجارة بيروت بخمسين ضعفا . ومن ظواهرها انها جرداء . ولكنها تستمد

سناءها من ذلك الخليط الرائع من الجبال والوديان والآكام والصخور والخلجان تحيط باضخم وانشط ميناء في العالم.

ويكاد كل قسم من هونغ كونغ يختص بناحية من نواحي النشاط والعمل . فشبه جزيرة كاولون المتصلة حدودها بحدود البر الصيني تختص بالصناعة . وجزيرة هونغ كونغ تختص بالتجارة وتقوم فيها افخم الدور والقصور . ويعد حي فكتوريا ، وهو اكبر احيائها ، مركز التجارة الاعظم . اما الزراعة فيختص بها القسم الثالث من المستعمرة المسمى «بالاراضي الجديدة» .

لقد اتيحت لي فرصة نادرة للتعرف على المستعمرة والاطلاع على كثير من شؤونها ساعة هبوطي من الطائرة .. شاء حسن طالعي ان التقي ، عند موقف السيارات خارج المطار ، سيدتين فاضلتين ، احداهما صينية هي السيدة انغ ، وتجيد الانكليزية كأبنائها ، والثانية كندية هي الانسة ماكلود مديرة المؤسسة الثقافية التبشيرية .

تعارفنا بعد سؤال عن الطريق الى المدينة ، وابت السيدتان الا ان تطوفا بي المدينة في سيارتهما وتكونا دليلي في جولتي . ولقد وجدت من حسن وفادتهما وطيب عنصرهما ما ذكرني بحمية العرب وما اشتهروا به من كرم الضيافة منذ اقدم العصور .

هونغ كونغ بلد المتناقضات : الى جانب القصور الفخمة والدور العامرة ، بيوت عتيقة داكنة السقوف تربى على

سطوحها شتى صنوف الدواجن، ومساكن شعبية من عشرات الطبقات يسكنها الآلاف من اللاجئين الهاربين من الصين الشيوعية ، وقد انتشر الغسيل على واجهاتها رفوفا رفوفا كأعلام الزينة الرخيصة ، او كتلك الرفوف من الخرق تطل عليك من احد مرتفعات القدس القديمة في احياء اليهود الشرقيين عند خط النار ، من قبل ان يستولي اليهود على المدينة المقدسة في حرب الايام الستة .

يقوم العديد من هذه المساكن الجماعية في كاولون . ولكن مشكلة اللاجئين لما تحل . بل انها تتفاقم كلما احتدم الصراع الداخلي الرهيب الناشب في الصين الحمراء بين جماعة ماوتسي تونغ ومعارضيه ، وكلما اشتد رهبوت حكام بيكين وبطشهم بكل من لا يدين بعقيدتهم واسلوبهم ...

والى جانب المتاجر العظيمة المكتظة بكل ما تطلب وتشتهي من سلع الدنيا ونتاجها ، تنتشر زوايا بيع ضيقة فيها بضاعة محرمة كثيرة ، من صور ومناظر واوراق لعب ومكيفات يلمح اليها البائع تلميحا متى عرف انك غريب . وباعة هونغ كونغ اذكياء ولهم نظرة نافذة كمعظم الصينيين، ويمتازون بالبراعة وخفة الظل معا ...

وظننتني حينا في بيكين لما استوقفني وسط شارع ناتان الكبير في كاولون ، صورتان ضخمتان لماوتسي تونغ على واجهتي متجر فسيح يزين مدخليه مصباحان احمران هائلان وكتابة غليظة باللغة الصينية لم افقه منها شيئا ...

انه شبه معرض دائم اقامه الصينيون الشيوعيون في هونغ كونغ ، تجاه فندق فورتونا ، وجعلوه وسيلة لغرضين، نصفه للتجارة ونصفه للدعاية . وتجارة الصين الحمراء مع هونغ كونغ حيوية لبيكين . فالمستعمرة البريطانية اشبه للصينيين الشيوعيين بالرئة يتنفسون منها تجاريا في الشرق الاقصى .

وتتميز تجارة بيكين مع هونغ كونغ بالاغراق ، شأنها مع كثير من دول العالم ، ومنها الدول العربية . ولعل هذا الدور الذي تمثله هونغ كونغ للاقتصاد الصيني الشيوعي هو ما جعل الحملة الشيوعية في المستعمرة تقتصر على التخريب واثارة الاضطراب اقلاقا للامن فيها وتعكيرا لتجارة اميركا وبريطانيا ومصالحهما الاقتصادية والسياسية في المنطقة .

اما النصف الاخر من مهمة المعرض الصيني الشيوعي الدائم في هونغ كونغ ، وهو الدعاية ، فيتمثل في كتب ونشرات ومخطوطات وصور تكاد كلها لا تخلو من صورة او كلمة او شعار لماوتسي تونغ ونظامه و « ثورته الثقافية » : هذا ماوتسي تونغ يزور مصنعا . وهوذا يحضر اجتماعا . وها هو يصافح جماعة من العمال والفلاحين ... وتذكرت ، وانا أشاهد صور ماو مع عامة الشعب ، صورة رأيتها في معرض للحرب النفسية في جزيرة كيموي الصينية الحرة ، وتظهر ماوتسي تونغ وهو يسبح مع بعض العمال في مسبح شعبي .. ولكن يكفي ان تدقق لحظة في الصورة كي تدرك انها من تركيب دوائر الدعاية الصينية الشيوعية ، اذ انك تلمح قبة ماو على

صفحة الماء فكأنما هو يسبح بقميصه ! وحقيقة الصورة ان رأس احد العمال السابحين قد قص منها وركب مكانه رأس ماوتسي تونغ حتى يبدو للناظر ان ديمقراطية زعيم شيوعيي الصين وتواضعه قد بلغا به حد الاختلاط بابسط العمال يجالسهم ويؤاكلهم ويسابحهم !

نشاط الصينيين الشيوعيين او الحرس الاحمر في هونغ كونغ يكاد لا ينقطع مثلما لا ينقطع تسللهم عبر الحدود الى المدينة لينشروا فيها الرعب والدمار بقنابلهم اليدوية وزجاجات احماضهم وسائر اسلحتهم . وقد رأيت من مخلفات هجماتهم الغادرة على المتاجر الصينية نفسها وبعض مؤسسات الحكومة ووسائل النقل المكتظة بالاهلين ، ما يثير القشعريرة في الابدان . وبلغ من فظاعة هذه الحملات ان انباء وصلت المدينة على لسان صحيفة « تسانغ باو » الصينية تقول ان شو ان لاي رئيس وزراء بيكين لم يجد بدا من التنديد علنا بالغارات التي شنها الصينيون الحمر على السوق الصينية في هونغ كونغ ، وذلك في بيان ادلى به في كانتون ، الولاية المتاخمة للمستعمرة ، قائلا : « ان الاضطرابات في هونغ كونغ قد اتاحت لليابان والصين الحرة فرصة نادرة لبسط نفوذهما على اسواق هونغ كونغ . » .

ولا ينفك حكام بيكين يرددون انهم سيستولون على هونغ كونغ . وقد كرر شو ان لاي ذلك في البيان المنسوب اليه في كانتون ، ولكنه استدرك قائلا ان الظرف الحاضر غير ملائم لمثل هذا الاستيلاء ... وطلب الى العمال في هونغ كونغ

ان يبقوا في اعمالهم ولا يعودوا الى الصين الحمراء في الوقت الحاضر .

وهكذا لا تنجو هونغ كونغ من حملة الاثارة والتخريب التي تشنها بيكين على منطقة جنوب آسيا الشرقي باسرها والتي شاهدت العديد من مسارحها وشواهدها اثناء رحلتي. ولقد طالما تساءلت وانا ارقب نشاط الشيوعيين الصينيين في المستعمرة البريطانية وفي فيتنام وتايلاند وغيرها من انحاء المنطقة : ترى ألم يشعر البريطانيون ، بعد ، بالندم لتسرعهم في الاعتراف بنظام الحكم الشيوعي في الصين ؟ واين حرصهم، وهم المشهورون بقاعدة « حفظ التوازن » في اوروبا وشرقنا الاوسط ، على توازن القوى في الشرق الاقصى وقد ضعضعه التنين الاحمر وراح ينسف قواعده قاعدة قاعدة ؟ ام انهم يجدون من اسباب التوازن هذا بالذات ان تجري الامور على هذا النحو ؟

لقد اتفق ، حين زرت هونغ كونغ ثاني مرة ، ان عاد الحاكم البريطاني من زيارة عاجلة للندن ، فاذ بصحيفة من الصحف الشيوعية في المدينة تستقبله بمقال طويل عريض لا تنعته فيه بأقل من سفاح ، هادر دماء العمال ، ايام تقتل متفجرات الحرس الاحمر ، المدسوسة في المصانع والقطارات وسيارات النقل العام ، عشرات الاهلين دونما تمييز بين عامل وتاجر ، بين امرأة وطفل ، بين كبير وصغير .

* * *

وددت ان ألقي نظرة الى الجانب الاخر من الحدود عبر نهر شومشم لأرى قرية من قرى الصين الشيوعية . ولكن التوتر في الموقف كان على اشده فنصحني الادلاء بان اعدل عن الفكرة فلم ار بدا من العدول عنها . وقمت بدل ذلك بزيارة لقرية وادي « كام تين » المعروف انها انشئت في القرن السادس عشر واحتفظت بمعظم شكلها وتقاليدها القديمة .

ابرز ما في هذه القرية بلا منازع ، ذلك السور الذي انشأه جماعة « تانغ » ، وكل اهل القرية اعضاء فيها ، لحماية انفسهم . وفي السور باب فولاذي واحد لا مدخل الى القرية الا منه . انه والحق يقال أثر من آثار المتاحف ومشهد من اروع المشاهد . لقد احسست هناك بانني اعيش في القرون الوسطى . فالقرية بسورها ورتاجها العظيم وهندستها التقليدية ، لتبدو لك صورة ناطقة للصين القديمة الاصيلة .

ومن المشاهد الاخرى النادرة التي تمتعت بها ، صخرة اماخ .

تقع هذه الصخرة على أكمة مشرفة على البحر عند كتف وادي شاتان . وتمثل الصخرة امرأة تحمل طفلها مقمطا على ظهرها ، ولها اسطورة يتوارثها سكان هونغ كونغ ... تقول الاسطورة ان زوجة صياد سافر زوجها الى ما وراء البحار ، اعتادت ان تذهب كل يوم الى تلك البقعة ، وطفلها على ظهرها ، وتنظر الى الافق البعيد مترقبة عودة



اجهزة التلفزيون التي تنتجها شركة تاتونغ الهندسية الى جانب البرادات والغسالات واجهزة الترانزستور

الزوج الحبيب . وقد بلغها ذات يوم ان زوجها هلك في احدى رحلاته . ولكنها ابت ان تصدق النبأ فظلت تذهب كل يوم الى ذلك المكان تنتظره فيـه ... ولما انقضت سنة دون ان تيأس المرأة او تمل الانتظـار ، اشفقت عليها الآلهة فبعثت اليها بصاعقة خطفتها وحملتها الى زوجها هي وابنها تاركة وراءهما هـذا التمثـال الصخري رمزا للوفاء علـى كر العصور ...

* * *

ومن الاماكن الاثرية الرائعـة في هونغ كونغ ، الدير البوذي العظيم الذي بني قبـل نحو عشرين سنة على رأس تلة من تلال شاتان ، وفيه عشرة آلاف من تماثيل بوذا يبلغ حجم بعضها حجم الانسان الطبيعي او يتجاوزه .

وهناك حدائق النمر ، وهي أشبه بمدينة وولت ديزني، وينتصب في اواسطها قصر عظيم مبني على الطريقة الهندسية الصينية المدرجة المتعددة الطبقات ، ومعروضة فيه تماثيل ورسوم مدهشة لآلهـة مختلف العصـور الغابرة وابطـال اساطيرها .

وهنـاك سوق عجيبـة في كـل اطوارها ، يسمونها « سوق اللصوص » او سوق القط ، ويكاد يكون كل ما فيها من صنع الصين الشيوعية ويحمل اما توقيع ماو تسي تونغ او صورته او شارة من شاراته .

دخلت السوق ويدي على محفظتي ! فالنشالون فيها امهر من نشالي مصر او شانغاي او ساحة البرج في بيروت . ويقال انها انما سميت بسوق اللصوص لان كل ما يسرق منك في الليل تجده فيها معروضا للبيع في الصباح !

على انني اكتشفت بعد برهة ان للتسمية سببا آخر . فالمألوف في اسواق المساومة ان تدفع نصف السعر المطلوب. اما في هذه السوق فلو طلبوا منك الفا حذار ان تدفع اكثر من مائة !

اما اعجب ما رأيت في هونغ كونغ فهو حي « ابردين » وكله سابح على سطح البحر ... انه مكون من آلاف المراكب يقيم فيها نحو ثلاثين الف نسمة وقد جعلوها بيوتا لهم ، ويبدو لك من بعيد كعلب الكبريت مرصوفة متلاصقة ، او كأرخبيل من الف جزيرة وجزيرة ...

واحلى ما في هذه البيوت العائمة ، المراكب ــ المطاعم التي اعدت لنزهة السائح ومتعته . ففي هذه المراكب الجميلة الحالمة من المشاهد والآثار ما يجعلها متاحف سيارة . المركب ملون بازهى الالوان ومزخرف في كل جوانبه حتى يكاد يضاهي زوارق البندقية ومراكب بحر مرمره، في استانبول . فاذا ما دخلته استقبلتك فيه مضيفة رائعة الجمال ترتدي ثوب عرس صينيا تقليديا ، بالتاج الكبير على رأس العروس والشرابتين الحمراوين الكبيرتين المتدليتين من جانبيه ، ونصف المعطف الحريري المزدان بألف لون ،

والثوب الاحمر المذهب المزركش المتدلي حتى الاخمصين .

وتجلس الى المائدة فتأتيك المضيفة وتقدم اليك سبعة الوان من ألذ الاطعمة المشهور بها المطبخ الصيني العريق ، فيما يعرض عليك جماعة من الاولاد رقصة تسمى « رقصة الاسد » : يرتدي احدهم ما يشبه جلد الاسد ملونا بالاحمر والاسود والاخضر ـ والاحمر عند الصينيين رمز للشرف ، والاسود رمز للاستقامة ـ ويبدأ الرقص واللعب ، فيهاجمه احدهم مقنعا بوجه قرد ، ثم آخر بوجه قط فثالث بوجه حمار ، وتستمر المحاورة والمداورة والكر والفر الى ان يطرح الاسد ارضا ...

فاذا ما انتهيت من الطعام واخذت تتناول الشاي ، جاءتك المضيفة الحسناء بكل وقارها وزينتها وخلاخيلها تجلس بين يديك وتحدق فيك ثم تقرأ لك طالعك ...

وتطوف بعدئذ في قاعات المركب فتجد من الرسوم والادوات الصينية التقليدية ما يدهش : هذه لوحة حريرية مرسومة باليد اروع ما يكون الرسم . وهذه سيوف جميلة المقابض وتروس حمراء المقابض . وهذان حذاءان صينيان طويلان ملونان باربعة الوان زاهية صارخة . وهذا غليون افيون اصيل ! وتلك مزملة قديمة وبجانبها رمح من اقدم رماح صيد السمك ، الى آخر ما في المجموعة من بديع ما صنعته الايدي البارعة .

* * *

والمشهور عن هونغ كونغ انها سوق الشرق . وكل ما فيها مباح الا الافيون وما شاكله من انواع المخدر ، والا السلاح . اما نقل الذهب والمجوهرات فيجب الاعلان عنه . والاسعار معتدلة بوجه عام وبعضها ارخص من الاسواق العالمية الاخرى وان كان الصنف التجاري هو الغالب في معظم ما يعرض من السلع المحلية . وقوافل السياح تكاد لا تنقطع . على ان الحركات الشيوعية قد حدت من تدفقها. والصناعة مزدهرة وتكاد البطالة لا تذكر . واذا كان التجار قد تذمروا اخيرا من عواقب التخريب الشيوعي على التجارة، فالواقع ان هونغ كونغ تظل من انشط مراكز التجارة في العالم .

وروح النظام والقانون سائدة وحرمتهما فوق كل الحرمات . والنظافة ، الا في بعض الاحياء والاسواق القديمة، تلفت النظر وتثير الاعجاب في بلد سكانه خمسة ملايين ... اما حركة السير فيكاد ازدحام البلد بالسكان لا يعوقها بفضل سعة الشوارع واستقامتها ودقة تقاطعها . وتؤمن معظم النقل العام في المدن سيارات ركاب بطبقتين تشبه كل الشبه سيارات الركاب التي رأيت الآلاف منها في لندن وركبت احداها في الطبقة العليا ، على سبيل التجربة .

* * *

خرجت من هونغ كونغ وفي مخيلتي صورة لها جميلة بعد ان زرتها مرتين ، وفي نفسي شوق الى ان ازورها مرات ...

الفصل الخامس

السمكة والتيار

لم ادخل دائرة مـن دوائر حكومة الصين الوطنية الا ودهشت من ظاهرتين فيها : ضرب من الجد والنشاط لم اشهد مثيـلا له في اكثر بلدان العـالم التي زرتهـا ، حتى الاوروبية منها ، ودقة في النظام والتنظيم توحي اليك بان الجماعة ينشئون دولـة بالمعنى العصري الصحيح المضبوط بالاختصاص والمهارة والاحصاء ... فكأنما ضربة استيلاء الشيوعيين على البر الصيني قد ايقظت كل جوارح الوعي في الادارة ، وكأنما السجال امام الرأي العـام العالمي بين احرار الصين في جزيرتها والمستعبدين في برها ، قد جعل المسؤولين في تايبه يعملون لبناء نظـام سياسي واقتصادي واجتماعي يضاهي انظمة الدول الصناعية المتقدمة ، حتى انهم قطعوا في اقل من ثمانـي عشرة سنة شوطا طويلا في هذا المضمار .

ومؤكد ان منجزات الصين الحرة في هذه المدة القصيرة وطراز الدولة العصرية المثالية المتوازنة الذي اقامته اقتصاديا واجتماعيا ، هي من الاسباب التي حالت دون اعتراف مئات دول العالم بالصين الشيوعية ، ومكنت الصين الوطنية من

ان تبقى الممثلة الشرعية للشعب الصيني في الامم المتحدة .

وانه لمن الطبيعي والمنطقي ان نظام حكم كنظام حكم تايبه ، بعيدا عن الاستبداد والحقد في الداخل ، مسالما في الخارج وساعيا في توثيق الروابط مع الامم على اساس التعاون وتبادل المنافع والخبرة في سبيل غد افضل ، يلقى من تأييد سواد العالم الاعظم نصيبا اكبر بكثير مما يلقاه نظام كنظام ماوتسي تونغ يستبد بالشعب وينتزع اللقمة من فمه ويسخره لاغراضه كما يسخر العبيد ، في الداخل ، وينشر ألوية الحرب والدمار والاضطراب في الخارج .

ولا شك بان من أسباب الضمان للحكم الوطني في الصين الحرة ومن دواعي ثقة العالم به وجود المارشال شيانغ كاي شيك على رأسه ، وتولي نائبه ورئيس وزرائه « ين شيا كان » زمام ادارته . فالرئيس شيانغ وجه فريد بين رؤساء الدول المعاصرين ومن اكبر القادة الذين عرفهم العالم في القرن العشرين . فقد ساهم بخلق الجمهورية الصينية واقامة اول نظام جمهوري في آسيا ، وما برح منذ اربعين سنة وهو رئيس الدولة ، يتجدد ويجدد البلاد ويصلحها ، رغم ما اعترضه من عقبات كان اشدها عقبة استيلاء الشيوعيين في غفلة من الزمن وفي غمرة الصراع المسلح مع اليابان وضغط الاتحاد السوفياتي ، على زمام الحكم في البر الصيني .

ولمونتسكيو كلمة في الحكم والحاكمين تنطبق على الرئيس

شيانغ كاي شيك احسن انطباق ، قال : « في نشوء المجتمعات يصنع رؤساء الجمهورية الشرائع ، ثم لا تلبث هذه الشرائع ان تصنع ، هي ، رؤساء الجمهوريات » .

ظهر الرئيس شيانغ كاي شيك الى جانب منشىء الصين الحديثة الدكتور صن يات سن ، قبل زمن طويل من ثورة ١٩١١ الجمهورية . فلما اطلقت الطلقات الجمهورية الاولى في ووشانغ ، عاد من اليابان على عجل والتحق بالقوات الثائرة في خط النار الاول . وبعد خمس عشرة سنة ، حين توفي صن يات سن ترك لشيانغ كاي شيك زمام القيادة ومهمة التغلب على اسياد الحرب ، وتوحيد بلاد الصين . وقد بقي شيانغ اربع عشرة سنة ، منها ثماني سنين من القتال في حرب ضروس ، سيف الحق والعدالة في وجه يابان عسكرية متسلطة ، حتى غلبها فمنحها صلحا لا حقد فيه ولا انتقام .

وقد حارب الشيوعية زمنا اطول من ذلك وباندفاع واستماتة لم يسبقه في مضمارهما اي رجل دولة في ماضي الايام وحاضرها ، حتى صار يلقب بجبار المدافعين عن الحرية ، الواقف كالطود في جزيرة تايوان يحبط من ارضها كل محاولات الشيوعيين للتوسع الى ما وراء الستار الخيزراني ، ويجعل من هذه الجزيرة اقوى مقاطعات الصين واهنأها عيشا ... ولقد اقسم الا يغادر ارض الجزيرة الا متى حرر الستمائة مليون من مواطنيه الرازحين تحت نير الشيوعية في البر الصيني .

والرئيس شيانغ هو الوحيد الباقي حيا من اقطاب الحرب العالمية الثانية . وهو الذي اجتمع بتشرشل وروزفلت في القاهرة والمهاتما غاندي في كلكتا . انه الرجل الذي رفض ان يساوم او يهادن في كل ما يتعلق بمبدأ او عقيدة في نضاله من اجل تحرير شعبه .

لم تعرف الصين رئيسا غيره منذ تطبيق الدستور سنة ١٩٤٨ . ولقد جددت مدة رئاسته رابع مرة باجماع ارادة الصينيين ، حتى جماعات من المقيمين في البر الصيني اذ استطاعوا ان يوصلوا اصواتهم بطرق سرية الى الصين الحرة ، وذلك بقرار من الجمعية الوطنية في الحادي والعشرين من آذار ١٩٦٦ . وقد قال يومذاك لناخبيه اعضاء الجمعية ، بالتواضع المشهور عنه :

« كنت افضل ، وانا على عتبة الثمانين من عمري ، ان انسحب واعود الى الحياة الخاصة . ولكن ما دفعني الى البقاء هو الشعور الذي يلازمني دائما بان علي ان اعوض ما لم استطع ان اتوصل الى تحقيقه لامتنا الغالية . والا لما فارقني الاحساس بانني لم اقم بكل واجبي ما لم يتم استرداد البر الصيني وتحريره . ولقد شدد من عزيمتي تلك النداءات اليائسة التي تجأر بها حناجر مواطنينا في البر الصيني ، المنكوبين بالحرمان من كل شيء ، المتطلعين الينا كي نخلصهم مما هم فيه . لهذا ترونني مستعدا لتحمل اثقل المهام وتقبل اكبر التجارب حتى اكون اهلا لثقة امتي وبلادي . »

ولقد اقسم الرئيس شيانغ ونائبه ين شيا كان ، في العشرين من ايار ١٩٦٦ ، ان لا يهدأ لهما بال حتى يفجرا غضبة الامة التي ستطهر ارض الصين من الاستبداد الشيوعي في مستقبل قريب .

* * *

ولد شيانغ كاي شيك ـ واسمه الرسمي شيانغ شون شنغ ـ في الحادي والثلاثين من تشرين الاول ١٨٨٧ من اسرة مزارعين في شيكوف ، من اعمال ولاية تشوكيانغ الساحلية . وكان اجداده زراعا منذ عدة حقب . الا ان جده ووالده حظيا بشهرة في المنطقة لسعة اطلاعهما على الاحداث ومعرفتهما بالتاريخ .

وكان ، بعد ، في الثامنة من عمره حين مات والده ، فتولت امه تربيته ، وقبلت رغم انها بوذية متعبدة ، ان يدخل كلية عسكرية يابانية بعد ان قرر ان يصبح جنديا .

وتأثر شيانغ بالثوريين الذين لجأوا الى طوكيو هربا من غضب السلطات المنشوكية . ثم تعرف الى الدكتور صن يات سن عام ١٩٠٩ ، وكان قد حصل على شهاداته من المدرسة الحربية اليابانية . وانضم الى جمعية « القضية المشتركة » الى قام عليها حزب الكومنتانغ الوطني . وقد تنبأ له الدكتور صن بمستقبله العظيم وقال : يقينا ان هذا الضابط الشاب سيصبح بطل ثورتنا .

وكان اول انتصارات شيانغ احتلاله هانغشيو عاصمة اقليم شوكيانغ على رأس القوات الثائرة. وقد خاض غمار معارك عديدة ضد اسياد الحرب الى ان اشتد عود الجمهورية. ولما توفي الدكتور صن آلت القيادة الى شيانغ كاي شيك فسار بحملته الشهيرة في الشمال وانتصر فيها وحقق وحدة البلاد كلها بادارة الحكومة المركزية.

وبعد تحرير شنغاي سنة ١٩٢٧، تزوج شيانغ الانسة مايلنغ سونغ، وهي سليلة اسرة صينية عريقة وخريجة كلية ويلسلي الاميركية في ماساشوستس. وما لبث ان اعتنق النصرانية، دين زوجته. ثم تقلب في عدة مناصب رفيعة وساهم بخنق عدة حركات ثورية الى ان اجتاحت اليابان منشوريا في العام ١٩٣١.

وقد رافق الحملة اليابانية حركات قام بها الشيوعيون بعد ان ادخلت روسيا العقيدة الشيوعية الى الصين في اوائل العشرينيات. وفي سنتي ١٩٣١ و ١٩٣٢ بدأ الحمر، من المناطق الجبلية التي اعتصموا فيها في الكيانغسي، حركة تمرد مسلحة ضد الحكومة. وجرد عليهم الجنرال شيانغ كاي شيك حملة تأديب كاسحة وطردهم من الكيانغسي الى المناطق الصحراوية النائية في مقاطعة شانسي الشمالية.

وقع للجنرال شيانغ سنة ١٩٣٦ حادث في مدينة سيان الواقعة في قلب الصين الشمالية، كشف عن المكانة التي يحتلها هذا القائد في قلوب الصينيين. فقد كان متوجها

الى شانسي لتنشيط الحملة على الشيوعيين ، فهاجمه بعض الجنرالات الموالين للشيوعيين واسروه مع مرافقيه . ولكنه ابى ان يفاوضهم او يساومهم ، رغم ان حياته كانت رهن اشارتهم . ورفض ان يستجيب الى ما طلبوه من تبديل في الحكم يمكن لنفوذ الشيوعيين ويساعدهم على قلب الحكومة بعد حين .

وسرعان ما انتشر الخبر فعم الاستياء البلاد بأسرها وانطلقت القوات الحكومية غاضبة تضرب الشيوعيين وتسحقهم في عدد من المناطق ... وركبت السيدة شيانغ كاي شيك الطائرة وتوجهت بكل شجاعة الى مكان « الفخ القاتل » كما اسمي يومذاك ، واستطاعت ان تحل عقدة الازمة بما عرفت به من حنكة ومقدرة ... وفي النهاية تحمل المارشال الشاب شانغ سوي ليانغ تبعة محاولة الانقلاب ، وتوجه من مدينة سيان مع شيانغ كاي شيك الى نانكين .. وعمت البهجة الصين كلها بنجاة زعيمها ، واحتفل الشعب بالحدث السعيد في كل مكان .

ثم كان اعلان اليابان الحرب رسميا على الصين سنة ١٩٣٧ واستمر القتال ضاريا حتى ١٩٤٥ . واغتنم الشيوعيون الفرصة ليطعنوا الحكومة الوطنية في ظهرها فيما كانت مشغولة بمحاربة اليابان . ولكن الرئيس شيانغ بقي الصخرة التي تعتمد عليها البلاد ، سواء في مقاومة الهجوم الياباني او رد غائلة الهجوم الشيوعي الداخلي .

وقد حسم الهجوم الياباني على بيرل هاربور مصير اليابان اذ هزمتها اميركا ، ولكن الصين بقيت في الجبهة البعيدة وظلت المساعدة الاميركية للصينيين ضئيلة حتى يوم النصر . وعانت البلاد الامرين من الدمار والحرمان ، وضاعف ذلك من مشاكل الدولة المشتبكة في القتال على جبهتين ، الجبهة اليابانية والجبهة الشيوعية .

وفيما كانت الجمهورية الصينية منهوكة القوى ومصابا اقتصادها بأشد الضربات من ويلات الحرب، قام الشيوعيون يضاعفون الجهد للاستيلاء على زمام الحكم . وساعدتهم روسيا وضمنت لهم الحماية في كرهم وفرهم في منشوريا . واحتدمت نيران الحرب الاهلية واخفقت الوساطة الاميركية اذ اصر الشيوعيون على اخذ الحكم كله او لا شيء . . .

وتخلى الرئيس شيانغ سنة ١٩٤٩ عن الرئاسة وانزوى في مسقط رأسه ، آملا ان تنتهي الحرب الاهلية . ولكن الشيوعيين رفضوا اية تسوية . ونزل الرئيس عند الحاح الصينيين الاحرار وقاد المقاومة في عدة مدن محاصرة . . . الا ان السيف سبق العزل وانتهى امر البر الصيني بالسقوط في ايدي الشيوعيين الذين اعلنوا في اول تشرين الاول ١٩٤٩ ما اسموه « الجمهورية الشعبية » وانتقلت عاصمة الجمهورية الصينية الحرة الى جزيرة تايوان . . .

المعروف عن شيانغ كاي شيك انه تأثر في صغره بسمكة رآها وهي تقاوم التيارات العنيفة المنحدرة من الجبال قرب

بيته دون يأس ولا كلل . وقد قال ذات يوم لجلسائه : « على الرجال ان يناضلوا ضد تجارب الحياة ومحنها ، متراجعين حينا ، دون ان يفقدوا الامل » .

والجهود التي يبذلها الرئيس شيانغ لبناء صين جديدة ما تزال مستمرة منذ نحو اربعين سنة . وقد عرف فيها النصر والهزيمة ولكنه لم ييأس البتة مثلما لم تيأس تلك السمكة من مقاومة التيار كي تتغلب عليه في النهاية . وما تطرق الوهن يوما الى ثقته بنفسه ويقينه بان تحرير الصين امر محقق مهما اقتضى ذلك من جهد وجلد . وما الدولة الحديثة الصاعدة المتينة في بنائها واقتصادها ومجتمعها ، القائمة على الحرية وحكم الشورى والكفاية والعدل ، التي تترعرع في جزيرة فورموزا ، ألا نموذج لما يريد ان تكون عليه صين الغد ، جزرها وبرها جميعا .

* * *

اما اليد الثانية التي تمسك بزمام الامور في الصين الحرة وتساهم بنهوضها وازدهارها فهي نائب الرئيس ين شيا كان ، وشعاره : « لا يجدر بحكومة ان تسمى بهذا الاسم ان لم تضمن لشعبها الامن والرفاه » .

هذا الشعار قد جعله نائب الرئيس مبدأه ورائده . وهذا الشعار هو الذي وضعه نصب عينيه لما انتخب نائبا للرئيس في العشرين من ايار ١٩٦٦ .

لقد اعطى هذا الزعيم الدليل على مواهبه مدة رئاسته الوزارة في السنتين الماضيتين . ولما راح حزب الكومنتانغ الوطني الحاكم يبحث عن نائب للرئيس جديد ، اراد ان يحسن الاختيار وفق ما اوصى به الرئيس شيانغ اذ قال : « يجب ان يكون المرشح لهذا المنصب رجلا نشيطا غير طاعن في السن ، ما دام سيساهم معي بالمهمة الخطيرة ، مهمة استعادة البر الصيني . لذلك يجب ان تؤخذ بالاعتبار مسألة السن الى جانب التجربة وموهبة المقدرة والدراية والمؤهلات . » واجمعت الآراء على اختيار ين شيا كان . فهو لم يتجاوز الستين ، ويبدو اقرب الى الشباب منه الى الكهولة . فلما انتخبته الجمعية الوطنية قال عنه الرئيس : « اني اجده رجلا اصغر مني بعشرين سنة ، ويتمتع بذكاء خارق وفكر نير وهمة قعساء وبالعديد من المواهب الاخرى . هذا الى جانب ما اثبته من امانة واستقامة وروح عالية وشجاعة لا تقهر وفضائل صهرتها التجارب والمحن طول سنين عديدة من العمل الثوري البناء . »

ونائب الرئيس ين رجل مدني يكمل بمواهبه مواهب الرئيس العسكري . انه عالم صار رجل دولة فوضع كل علمه ومواهبه ومعرفته بالشؤون الاقتصادية والمالية والادارية في خدمة الامة .

لقد استطاع نائب الرئيس ين طول سنتين قضاهما رئيسا للوزراء ، وهو منصب ما زال يشغله الى جانب نيابة الرئاسة ، ان يقيم التوازن في ميزانية الدولة ، وان



الخبراء المراقبون اثناء عملهم في مشروع الاراضي في غربي جزيرة تايوان

يحقق اول مرة فائضا للبلاد في الميزان التجاري ، وان يرتفع بوتيرة النمو الصناعي من ١٥ الى ٢٠ في المائة سنويا ، وان يحقق ارقاما قياسية جديدة في الانتاج الزراعي . وقد عمل على رفع مستوى المعيشة فزاد مرتبات الموظفين . وحرص في آن معا على انماء قوة الجيش وقدرته الهجومية . وقد شغل ، قبل رئاسة الوزارة ، مناصب وزير الاقتصاد ووزير المال مرتين ، وحاكم تايوان .

قابلته في مكتبه ، عند زيارتي العاصمة تايبه ، فاذا هو رجل معرفة واسعة الآفاق ، حكمته الاولى : « فكر مرتين قبل ان تقدم على عمل ، وضع نفسك موضع الآخرين » .

انه التواضع عينه رغم منصبه الرفيع وسائر المناصب التي شغلها في الدولة ... تحدثنا طويلا عن شؤون المنطقة وشجونها وعن علاقات الصين الوطنية بأمم العالم الحر وعن بعض عادات الصينيين وتقاليدهم النبيلة وحضارتهم العريقة فقال لي :

« اشتهر الصيني بتعلقه بأسرته وتأصلت فيه الروح العائلية . ولعلك لمست ذلك في حسن وفادة الصينيين وترحيبهم بالزائرين . »

وادركت هنا ماذا يعني للصيني تشتيت العائلة وهو ما قاساه سكان البر الصيني من اساليب الشيوعيين في القضاء على روح الاسرة باسم تحديد النسل او اعادة تنظيم

الاسرة او تحويل المجتمع الى مجتمع اشتراكي ...

والارقام ودقة الاحصاء من احب الامور الى نائب الرئيس ، وهو الخبير الكبير في شؤون المال والاقتصاد وفي طليعة المخططين لمشاريع الانماء والموازنة المالية .

قال لي مقارنا بين حال اقليم الصين الحرة تايوان واحوال البر الصيني :

« انهم يخبطون خبط عشواء ... كانت تجارة البر الصيني الخارجية عام ١٩٥٩ اربعة مليارات وثلاثمائة مليون دولار اميركي ، فانخفضت في السنة ١٩٦٦ الى حوالي مليارين وسبعمائة مليون فقط . ونحن ، في هذه الجزيرة ، الصغيرة نسبة الى شبه القارة الصينية ، والتي لا يتجاوز سكانها ثلاثة عشر مليونا ، بلغت ارقام تجارتنا الخارجية في العام ١٩٦٦ اكثر من مليار ومائة مليون دولار اميركي .

« وليس لنا ما نشكو منه ، والحمد لله . اننا نجد في العمل لتحسين احوالنا بأطراد كما ترون . وقد استطعنا ان نكفي انفسنا في كثير من حاجاتنا . على اننا نستورد المواد الاولية وبعض الآلات والمعدات الثقيلة . ونحن الآن في سبيل دخول مرحلة التصنيع الثقيل . وابواب البلاد مفتوحة على المصراعين امام رؤوس الاموال .

« اما اهم ما نجتهد في العمل لتحقيقه فهو عقد اوثق

الروابط مع اكبر عدد ممكن من الامم . ولقد قال الدكتور صن يات سن ، بعد الحرب العالمية الاولى : « لكي تتطور الصين يجب عليها ان تتعاون مع الامم وتشجع توظيف رؤوس الاموال الخارجية فيها » . وهذا ما نفعله بالذات . ولقد كان لي حديث طويل في ايار ١٩٦٧ ، لما زرت الولايات المتحدة ، مع رجال الصناعة في نيويورك بهذا الشأن . »

وهنا اشار نائب الرئيس الى موقف بعض الدول في اوروبا وغيرها ، من الحكم الشيوعي في الصين وما بدا لها من آمال تجارية عريضة في التعامل مع ستمائة مليون نسمة، وقال : « ولكن سرعان ما خابت هذه الآمال واتضح للعالم ان ما يفعله حكم ماوتسي تونغ هو اتباع اسلوب اقتصادي انعزالي واغلاق ابواب البر الصيني في وجه تعامل الدول تجاريا معه ، والمضاربة والاغراق في الاسواق الخارجية . »

وتطرق حديثنا بعد ذلك الى العلاقات بين الصين الحرة والدول الاسيوية والافريقية ولا سيما الهند ودول الشرق الاوسط ، فقال نائب الرئيس ين :

« اننا ننشد على الدوام مزيدا من التعاون والتعامل التجاري والتبادل الثقافي مع هذه الدول . واظن ان الروابط الوثيقة التي تربط بين الصين والهند كفيلة بان تقيم بينهما تعاونا مثمرا لخير الامتين . وعند الهند اشياء كثيرة نتعلمها منها ولا سيما التكنيك والصناعة وما احرزته من تقدم في مجالهما . ونستطيع نحن ان نقدم الى الهند

خبرتنا الزراعية خصوصا في حقل انتاج الارز . ثم ان بيننا وبين الهند علاقات ثقافية تقليدية عريقة . الا ان الحكم الشيوعي المتسلط على ارض الصين يعمل على تقطيع هذه الاواصر . واحسب انه متى تم تحرير البر الصيني وقام تعاون بين المجموعتين البشريتين الكبيرتين في الهند والصين استطاعت البشرية ان تجني الخير والسلام من هذا التعاون ، بدل الحرب والشرور .

« اما الشرق الاوسط ، والبلاد العربية خصوصا ، فيهمنا ان نوسع نطاق تعاوننا الاقتصادي وننمي علاقاتنا الودية معها . ولبنان بالذات بلد مهم في المنطقة ويحتل مقاما تجاريا واقتصاديا وماليا مرموقا . واظن ان من الواجب ان نزيد تجارتنا مع هذا الجزء المهم من العالم ونقيم معه امتن علاقات الصداقة والود والتعاون لما فيه الخير والسلم المشترك . واختصاصيونا وفنيونا ، وعندكم عدد منهم في بعض البلاد العربية ، مستعدون لتلبية اي طلب يوجه للاستعانة بخبرتهم في الزراعة والصحة وغيرهما » . . .

بهذا الصدر الرحب والقلب المفتوح لصداقات البشر، واليد الممدودة للتعاون الصادق ، قابلني وحدثني نائب الرئيس ين ، ذلك العلامة الذي ساهم بنصيب كبير في تنظيم اقتصاد بلاده وشؤونها المالية ، ورسم خطط انمائها بأمانة وضمير حي وشعور المسؤول بتبعته ، وكان لي شرف الاجتماع به والشد على يده بفخر واعجاب .

ونائب الرئيس ين ، من المؤمنين بالاقتصاد الحر الموزون الذي يتيح للقطاع الخاص كل فرص الابداع ، مع رقابة حكيمة تمنع الاساءة الى الحرية واستغلالها للاحتكار والفوضى ، وتضمن افضل النتائج للاقتصاد الوطني وحسن التوزيع الاقتصادي وتقسيم العمل وفق حاجات البلاد في كل قطاع .

ولقد برزت مواهب هذا الاقتصادي الكبير الذي بدا لي ، في دوره الانشائي التنظيمي اشبه لبلاده بكولبير فرنسا او شومان الاسرة الاقتصادية الاوروبية ، في المجال الدولي خارج جزيرته ، اذ مثل حكومة الصين في مؤتمرات دولية اقتصادية ومالية عديدة . وقد انتخب رئيسا لمصرف الانشاء والانماء الدولي وجمعية التنمية الدولية وصندوق النقد الدولي ، وكان لولب الحملة الموفقة التي جاءت الى بلاده برؤوس اموال خارجية ضخمة ، سواء من مصادر اجنبية او من المغتربين الصينيين كي توظف في مشاريع اقتصادية كبيرة .

ولما انتخب ين نائبا لرئيس الجمهورية رحبت البلاد كلها بهذا الاختيار ، وقالت فيه احدى الصحف : « بالرغم من ان نائب الرئيس رجل اقتصاد وخبير في شؤون المال ، فهو يظل رجلا طيب القلب دمث الخلق ، قادرا على التفاهم بسهولة مع الاجانب كقدرته على التفاهم مع مواطنيه » .

والبساطة غالبا ما تكون دليل كبر في النفس . ولقد اسرني

هذا الرجل النحيل المائل الى القصر ، الصافي النظرات ، حقا ، بلطفه وبساطته وسعة صدره . ومن اقواله المأثورة : « لسنا كلنا متشابهين . فلندع كل امرىء ينمي شخصيته ويثقفها » .

ونائب الرئيس ورئيس الوزراء ين رب عائلة سعيدة . فقد انجبت له زوجته ليو شي شن سبعة اولاد ، منهم اربعة ذكور وثلاث اناث . ومن احب ايام الراحة اليه نهاية الاسبوع يقضيها بين افراد عائلته واحفاده في منزله الريفي . وفي المساء يحب ان يشاهد فيلما جميلا او برنامجا طريفا من برامج التلفزيون في بيته . والتصوير من احب هواياته . اما حياته اليومية فبسيطة متقشفة كبساطة حياة الرئيس شيانغ وتقشفها : يستيقظ في السادسة كل صباح منذ نعومة اظفاره . وبعد التمرين الرياضي يطالع الصحف ويرسم خطة عمله اليومي . وفي تمام الساعة الثامنة يكون جالسا الى مكتبه في رئاسة الوزارة . . .

يحب بين حين وآخر ان يدخن سيكارا ويشرب كأسا. اشتهر عنه حبه للنظام والنظافة واقلاله من الكلام وحكمته المأثورة « افعل ذلك بنفسك » . يقول عنه بعضهم انه شحيح ويقول غيرهم انه سخي الكف . والحقيقة انه لا هذا ولا ذاك الا اذا كان في الامر مال الدولة فهو حريص عليه حرص البخلاء .

انه عصري في كل شؤونه ، ويحب العمل الجماعي

التعاوني ، وهو رجل نظام وتعاون في الحياة العامة ، وفردي في حياته الخاصة ، وبذلك يمثل فضائل الصين القديمة والحديثة . وهو فوق كل شيء وقبل كل شيء قد نذر نفسه لجعل الصين دولة حرة موحدة مسالمة جديرة بان تحتل المكان اللائق بها بين الامم وتقوم بدورها الكبير في المجال الدولي . وعلى هذا الاساس يقوم عمله الاداري والتوجيهي والتنظيمي ، ومن هذا الرأس يتسلسل النظام والجد في العمل حتى اصغر موظفي الدولة ، ويتفرع النشاط في كل خلية من خلايا المجتمع المجد الناهض .

الحق اني حسدت هؤلاء القوم بقدر ما احببتهم واعجبت بهم ، وتمنيت من الصميم لو من الله على بلادنا العربية بامثالهم ممن يقلون في الكلام ويكثرون في العمل : يعشقون النظام ويحترمون القانون ، يبنون وينشئون دون منة ولا تهويل ، يعملون بلا كلل ولا كسل ويفتشون عن كل حسن ليقلدوه ، يصلون بلادهم بالعالم ولا يقطعون ... يعرفون هدفهم فيسعون في بلوغه بعيون لا تعمش وعزيمة لا تغلب .

—■—

الفصل السادس

هكذا تصلح الارض

—■—

لطالما سمعنا عبارة « الاصلاح الزراعي » تتردد في البلاد العربية طول ربع القرن الاخير . وكثيرا ما تحدث المسؤولون والموجهون عن خطوات ثورية في اعادة توزيع الارض وتنظيم استثمارها على ايدي فلاحيها . ولكن من الواجب والانصاف ان نعترف بان الفلاح قلما جنى من ثمار اصلاح فعلي . واذا كان بعض العدالة قد تحقق في انهاء عهد احتكار الارض في ايدي طغمة الملاكين الكبار او الاقطاعيين المستبدين في هذا القطر العربي او ذاك ، فقد وقف الامر عند حد تمليك الفلاحين الارض بدل انظمة الاستثمار القديمة الجائرة ،دون ان يرافقه تنظيم للاستثمار الجديد على ايدي المالكين الفلاحين ، او تأمين وسائل هذا الاستثمار وتقديم البذار والالة والتوجيه الفني ، وكلها عناصر اساسية في انماء الزراعة ورفع مستوى المشتغلين فيها وزيادة نصيبها في الدخل القومي .

ولقد كان من نتيجة هذا الاضطراب ان انتكست الزراعة وتضاءل انتاجها وفترت همم كثيرين من المشتغلين فيها ، وصدئت الآلات الزراعية ، على قلتها ، في الحقول واكل بعض الفلاحين القليل الذي خصص لهم من الحبوب للبذار ...

تلك وقائع لا يمكن ان تخفى على احد في بلاد كبلادنا يقوم معظم اقتصادها على الزراعة ، مهما حاولت اهواء السياسة وظروفها الاستثنائية ان تكتمها . وقد بات من ضرورات السلامة الاقتصادية ان يعاد تنظيم مناهج الاصلاح الزراعي من اساسها وتبعد عن السياسة لتؤدي وظيفتها الاصيلة وهي اصلاح احوال الارض وفلاحيها والعمال المشتغلين فيها ، ومن ثم تحسين المجتمع والاقتصاد معا .

اما الاصلاح الزراعي الحق فقد رأيته في الصين الحرة مجسدا في انتظام احوال الزراعة ونصيبها الكبير في الدخل القومي ، ولمسته في انتاجها المتنامي ، كما ونوعا ، وفي البحبوحة التي ينعم بها الفلاح واسرته والوسائل الحديثة الموفورة له كي يزيد انتاجه ويقوم بنصيبه في انماء بلاده وتطويرها .

بدأ الاصلاح الزراعي فور وصول الرئيس شيانغ كاي شيك وحكومته الوطنية الشرعية الى جزيرة تايوان سنة ١٩٤٩ ، وطبقت تدابيره الاولى في تلك السنة . وقد قضت اولا بخفض المتوجب على الفلاح دفعه لمالك الارض الى ٣٧،٥ في المائة من المحصول الرئيسي بدل ٧٠ في المائة ، اي حوالي النصف . وبذلك اصبح الفلاحون يستطيعون ادخار شيء من ارباحهم لشراء الارض لحسابهم الخاص وتحسين احوال عيشهم بوجه عام .

ثم اقدمت الحكومة على خطوة انشائية كبيرة فبدأت

سنة ١٩٥١ تبيع اراضي الدولة الى هؤلاء الفلاحين لتجعلهم مالكين بدل مستأجرين . وحددت سعر شراء الارض بضعفي قيمة المحصول السنوي الاساسي ونصف الضعف ،وجعلت تسديد ثمن الارض على عشرين قسطا في مهلة عشر سنين . وقد سهل على كثير من الفلاحين ان يبتاعوا الارض بفضل اليسر في شروط التملك .

اما المرحلة الاخيرة من الاصلاح الزراعي فقد تحققت سنة ١٩٦٣ حين قضت الحكومة بنقل ملكية الاراضي الصالحة للزرع والزائدة عن الحد المعين ، من المالكين الى مستأجريها من الفلاحين . واصبح يحق لكل مالك ان يحتفظ بمساحة ثلاثة هكتارات مربعة من الاراضي المزروعة ارزا من النوع الوسط او ما يوازيها من الاراضي الاخرى . اما الزائد عن هذه المساحة فيبيعه المالك للحكومة كي تتولى هي بيعه للفلاحين الذين كانوا يستثمرونه بالاجارة .

وحصل المالكون على قيمة اراضيهم الزائدة عن المساحة المحددة والمباعة للحكومة ، بسندات على الدولة وبأسهم يعادل ثمنها ٣٠ في المائة من القيمة ، في اربعة مشاريع استثمارية حكومية ما لبثت ان انتقلت الى القطاع الخاص .

اما هذه المشاريع الاربعة فهي مشروع زراعي ومشروع لاستغلال المناجم ومعمل للاسمنت ومعمل للورق .

بهذه الطريقة المزدوجة الفائدة ساهم الاصلاح الزراعي

بنصيب كبير في انماء المشاريع الخاصة (القطاع الخاص) وفي تقدم الزراعة وتحسين احوال جميع المشتغلين في الارض .

وكانت السندات على الدولة نتيجة بيع الاراضي الزائدة عن حد الملكية ، تدفع اما عينا او بالارز على عشرين قسطا نصف سنوية بفائدة ٤ في المائة . كذلك كان الفلاحون مشترو الاراضي يدفعون ثمنها للحكومة في المهلة ذاتها وبالتقسيط ذاته والفائدة عينها .

وقد بلغ مجموع الدفعات السنوية التي سددها الفلاحون ، مضافا اليها ثمن الماء والضرائب ، ما يوازي تقريبا تلك السبعة والثلاثين والنصف في المائة التي كانوا يدفعونها اجرة للاراضي يوم كانوا يستغلونها بالاجارة . اضف الى ذلك تسهيلا آخر اتاحه نظام الاصلاح الزراعي للفلاحين وهو الحصول على قروض من الحكومة لتوسيع زراعتهم وتحسين وسائل انمائها .

ولقد افاد نصف مليون عائلة فلاحية ، اي حوالى ٦٣ في المائة من عائلات الفلاحين في تايوان ، من تخفيض قيمة استثمار الارض بالاجرة ، بموجب هذا الاصلاح الزراعي . وكان ٤١ في المائة من الاراضي الصالحة للزراعة في تايوان تستغل بالاجرة . اما اليوم فلم يبق من ذلك سوى ١٣ في المائة . وفي العام ١٩٤٩ كان ٦١ في المائة من الفلاحين يملكون الارض التي يستثمرونها او يشاركون في امتلاكها .

اما اليوم فقد ارتفع عددهم الى نسبة تتجاوز ٨٧ في المائة من العائلات الفلاحية .

ونمت الزراعة وازدهرت واتسعت ميادينها بفضل هذا الاصلاح الزراعي . وتحسنت احوال الفلاحين حتى انك لتجد من الامور المألوفة ان تمتلك عائلة الفلاح بيتا جديدا حسن التأثيث ، موفورة فيه اسباب الراحة والنظافة والاكل الجيد ، مع جهاز تلفزيون وبعض ادوات التسلية الاخرى مهما يبلغ عدد افرادها . وتبدلت احوال قرى بأسرها فصارت اشبه بالبلدات الصغيرة المتطورة ، الجميلة المتينة البيوت ، المنتظمة الشوارع ، المتصلة بالطرق العامة لنقل المحاصيل الى الاسواق .

ولقد ادى تقدم الزراعة السريع ، بجانب تطور الصناعة ، الى جعل البلاد تنعم بمستوى عيش يعد ثاني اعلى مستوى عيش في القارة الاسيوية كلها . واذا كان دخل المواطنين اقل من دخل اليابان وهونغ كونغ بقليل ، فانهم يعيشون برفاه وبحبوحة لا يقلان عما يتمتع به سكان هذين البلدين .

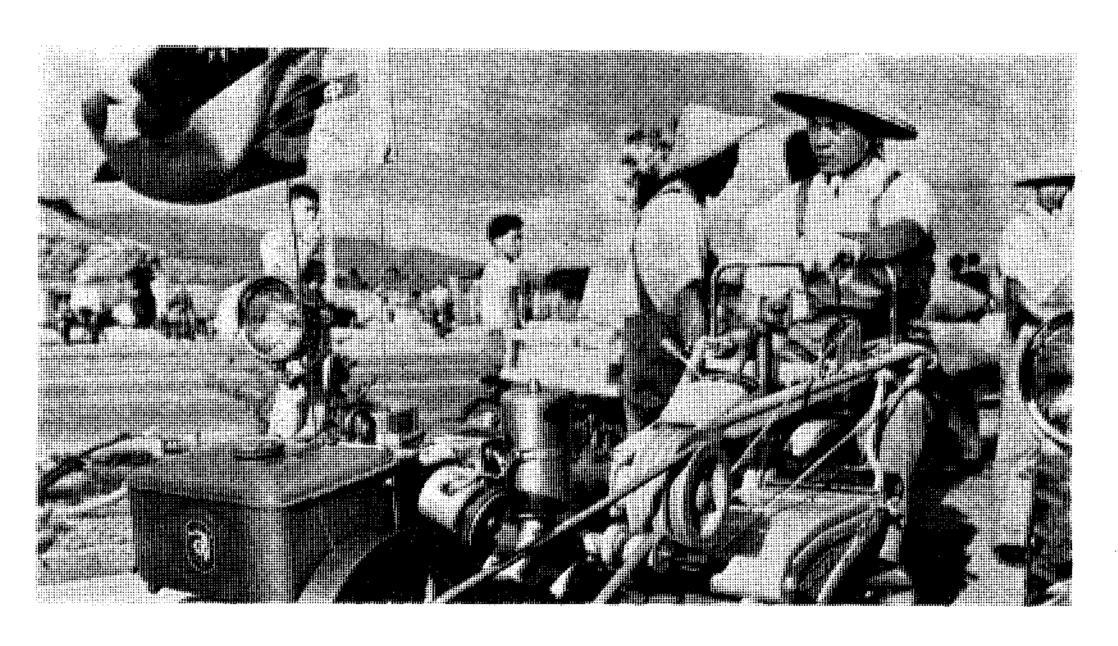
اتيحت لي الفرصة كي ارى بضع قرى تايوانية ، فوجدت بعضها لا يقل جمالا ورونقا ومستوى عيش عن بعض القرى اللبنانية المتطورة . ولعل اجملها قرية توروغو المشهورة بقرية الربيع الدائم والتي تضاهي شلالاتها جزين ونبع الصفا ، وقرية البحيرة الخضراء وقرية شنغ كونغ

في الغرب وغير ذلك من قرى السياحة في الشمال ، وهي تبدو لك شبيهة بقرى ساحل البحر الابيض المتوسط وبعض جزره الخلابة .

لقد بقيت الزراعة في الصين الحرة تحتل كل مكانتها في دفع عجلة نموها والحفاظ على جمال طبيعتها ، رغم انصراف الكثير من جهد الدولة نحو التصنيع الخفيف والمتوسط في البداية ثم التصنيع الثقيل اليوم . ففي الخطة الرباعية الاولى للانماء الاقتصادي التي طبقت سنة ١٩٥٣ دمجت جميع نواحي النشاط المتعلقة بالزراعة في عمل مشترك جماعي طويل الامد . واستهدفت تلك الخطة تحقيق :

- الكفاية والاستقلال الغذائي
- تقديم غذاء افضل لسكان يتزايدون باطراد
- زيادة تصدير الانتاج الزراعي وانشاء احتياطي للخزن من المواد الزراعية الاولية لسد حاجات الصناعة .

ولقد زاد الانتاج الزراعي في السنين العشر الاخيرة بنسبة ٧٠ في المائة . فانتاج الشاي ارتفع ٨٠ في المائة ، والاناناس ٢٥٠ في المائة ، والحمضيات او الموالح ٧٨ في المائة . وكان الفضل في هذه الزيادة السريعة ، للاقبال على استثمار الارض استثمارا انشط واوسع وبوسائل احدث. وانتاج الارز مثال صارخ على مبلغ ما احرزته الزراعة من



تستخدم احدث الآلات في انماء زراعة الصين الحرة منها عشرة آلاف من المحاريث الآلية .
وفي الصورة احد هذه المحاريث

تقدم وما وصل اليه نتاجها من جودة . فهو اهم المحاصيل اطلاقا . وقد بلغت نسبته ٧٠ في المائة من كامل الانتاج الزراعي سنة ١٩٦٤ ، وسجل سنة ١٩٦٥ رقما مدهشا اذ بلغ انتاجه مليارين (٣٤٨ الف طن مترى) اي انه تضاعف في اقل من خمس عشرة سنة بمساحة تكاد تكون ذاتها .

ويعد سعر الارز قاعدة لباقي الاسعار وتكاليف المعيشة ، والناظم الاكبر في سلع الاستهلاك على الخصوص وهو من قبل وبعد ، اساس غذاء الصيني حيثما كان .

وتتزايد يوما بعد يوم انواع الزراعات الاخرى التي تتخلل زراعة الارز وقصب السكر ، كفول الصويا والقطن والخضار والقمح والتبغ والذرة ... ولقد كان الاصلاح الزراعي الحافز الضروري لتحسين نظم ري الارض وتجفيفها . واخذ الفلاحون ، بفضل هذا الحافز ، يفتشون عن بذار افضل ويستعملون مبيدات الحشرات والآلات الحديثة والاسمدة ومختلف انواع المخصبات .

ومن الظواهر المهمة في الاصلاح الزراعي ان الحكومة وموظفيها وخبراءها قد اكتسبوا ثقة معظم الزراع ، فما ان يعرضوا اساليب ووسائل جديدة لتحسين الزرع وزيادة محصوله ، حتى يقبل عليها الزراع ويطبقوها . وقد تعلم هؤلاء فن استعمال الاسمدة التي ازداد الاقبال عليها حتى ارتفعت الكمية المستعملة في زراعة الارز من ٢٣٢ الف طن الى ٧٦٠ الف طن بين ١٩٥٠ و ١٩٦٤ .

ومن المعدات التي زود بها الزراع ، آلات الرش ومنها ما يدار بالمحرك ، ومحاريث آلية ومضخات للري ودراسات ومفارم آلية للبطاطا الحلوة . وهناك مساعدات اخرى تقدمها الحكومة الى الزراع تشجيعا لهم وتحفيزا على تحسين زراعتهم . من ذلك معونة لاعمال الري وتوزيع الاسمنت مجانا على الزراع للبناء .

على ان كل هذه التدابير ما كانت تعطي اكلها لولا تعاون جمعيات الزراع مع الحكومة والفلاحين معا . فقد دأبت هذه الجمعيات ، وهي شبيهة بالتعاونيات ، على تقديم خدماتها الى الزراع ومدهم بالمعدات الحديثة وتأمين الاسواق لمحاصيلهم .

وتشكل جمعيات الزراع على ثلاث درجات : جمعيات المدن ، وجمعيات المحافظة او الاقليم ، وجمعيات القرى . وفي البلاد اليوم اثنتان وعشرون جمعية على مستوى المدينة واثنتان وعشرون على مستوى الاقليم او المحافظة ، وواحدة على مستوى القرى . وتسعون في المائة من الزراع اعضاء فيها ولهم الكلمة العليا ، ومنهم ينتخب اعضاء الهيئات الادارية .

ومن ابرز مهام هذه الجمعيات ايداع مدخرات الزراع وامدادهم بالقروض والعناية بالمحاصيل وخزنها وبيعها . وهي تعمل باسم الحكومة وتحظى بتأييدها وتتولى امداد كل منظمة زراعية بحاجاتها .

ولن اطيل في شرح حسنات هذه الجمعيات بل اكتفي بان اذكر على سبيل المثال ان مجموع مدخرات الزراع فيها قد بلغ ٧٥ مليون دولار سنة ١٩٦٥ اي خمسة وعشرين ضعف المدخرات في العام ١٩٥٣ ، وان القروض التي قدمتها الى الفلاحين بلغت ٧٠ مليون دولار اي اربعة وثلاثين ضعف القروض المقدمة اليهم سنة ١٩٥٣ ، وان الجمعيات المذكورة انفقت ١٤ مليون دولار على خدمات التوجيه والتدريب على اساليب الزراعة الحديثة وتعليم ربات البيوت وفتيات الحقول اصول الاقتصاد العائلي وتربية الدواجن والعناية بالغلال .

ولقد صار هذا النظام الاتحادي الفعال ، القائم على اسلوب ادارة ديموقراطي وعلى تعاون الحكومة والجمعية والزراع كافة ، مضرب الامثال في تطوير المجتمع الريفي وتأمين رفاهيته ، ومحط انظار بلدان عديدة آخذة في النمو.

وهناك مؤسسات اخرى تعنى بشؤون الزراعة وتربية الحيوان وصيد الاسماك ، وهي جمعيات ري الحقول ؛ وتختص كل منها بتنظيم جهاز الري في منطقة من المناطق ، ونقابات صيادي الاسماك وتعنى بتقديم المعدات اللازمة للصيادين ولا سيما وسائل تبريد الاسماك وحفظها وادارة اسواقها وتنظيم الاحصاء المتعلق بها ، ومشاريع انماء المصائد بالتعاون مع دوائر الحكومة .

وتحظى تربية الحيوان الداجن بكل اهتمام . وهناك

مراكز للتأصيل وتحسين النسل والتلقيح الاصطناعي . وقد زرت بعض المراكز في العاصمة والريف وشاهدت اعمال النزح والتلقيح في الزرائب فاذا هي على احدث الاساليب وانجعها في توليد احسن انواع الماشية وتأمين اكبر كمية ممكنة من اللحوم ، حتى صار اللحم مبذولا في المدن والقرى بكميات تفيض عن الحاجة اضعافا .

وخلاصة القول انك تقف معجبا امام تطور الريف وسوية العيش الرفيعة التي بلغتها القرى والقرويون . ففي معظم المزارع تقوم مساكن جديدة او مساكن قديمة موسعة، حديثة الاثاث ، عصرية الطراز ، ناعمة بالكهرباء وفيها الى جانب وسائل التسلية آلة خياطة ومروحة كهربائية احيانا وغير ذلك من اسباب اليسر وهي معروضة للبيع في كل قرية .

والمدارس في متناول الجميع . و ٩٧ في المائة من الاولاد ما بين السادسة والثانية عشرة من اعمارهم يذهبون الى المدارس . وقد اصبح اولاد الفلاحين اليوم قادرين على دخول المدارس الثانوية ، وكل ذلك مجانا . ومن هؤلاء التلاميذ من صار يدخل الكليات ومدارس التخصص والجامعات .

ولا تملك وانت ترى ما وصل اليه القرويون في الصين الحرة وسائر السكان من بحبوحة وكفاية في المأكل والملبس والعلم وسائر اسباب العيش الكريم ، الا ان تشفق على

اخوانهم في البر الصيني الذين لا تنقطع الاخبار عن المجاعة التي تفتك بجماعات كثيرة منهم والفقر المدقع الذي يعيشون فيه والاضطراب الاجتماعي الذي حل بهم حتى شتتت العائلات وتقطعت اواصرها رغم ان روح الاسرة وحرمة الاسرة من اعرق التقاليد الصينية واقدسها .

لقد اخفق ما سمي بالاصلاح الزراعي في البر الصيني اخفاقا ذريعا ، واقتصر امره على مجرد مصادرة الارض والقضاء على مالكيها وتحويل الفلاحين الى عبيد للدولة الشيوعية ومجتمعاتهم الى عبوديات مشتركة تعاني الامرين من الشقاء والحرمان والسخرة ، مع ان نسبة الاراضي الصالحة للزراعة في البر الصيني اكبر بكثير من نسبتها في الرقعة الصغيرة التي تتمركز فيها الصين الحرة وهي جزيرة تايوان وملاحقها .

تقول الكاتبة الفرنسية المعروفة سوزان لابان ، رئيسة عصبة الحرية والمؤتمر الدولي للحرب السياسية ، في كتابها الاخير « داود وجوليات » :

« كثيرا ما قرن الرأي العام الدولي صورة الشيوعيين بفكرة الاصلاح الزراعي . وحتى اولئك الذين ينفرون من الشيوعية يحسبون ان اي نظام آخر غير النظام الشيوعي لا يستطيع ان يحقق اصلاحا كهذا ، وان الشيوعية ، اذا ، تبرر وجودها في البلدان المتأخرة بأنها رسول هذا الاصلاح !

« والواقع اننا قلما نجد اوهاما سياسية لا تستند الى شيء من الواقع مثل هذا الوهم . انه يقلب الحقيقة رأسا على عقب . فالشيوعيون يتوسلون باعطاء الارض للفلاحين كي يرسخوا اقدامهم في الحكم، فمتى رسخوها انتزعوا من الفلاح الارض وثمارها .. وانما يتم ذلك في شبه حرب اهلية يقضي فيها الحكام الشيوعيون على الملايين ممن يسمونهم بالاغنياء ، ويفرضون التعاونيات الاستبدادية فرضا ، ويقبضون على الفلاحين المعارضين ويحولون الفلاحين الى عمال مصانع مكشوفة تديرها ادارات معينة تعيينا ، ويفرضون الضرائب الكيفية على الانتاج ويصادرونه كلما عن للدولة ان تصادره ، ويجمعون الآلات الزراعية في محطات تديرها اجهزة مدربة مهمتها التجسس على الفلاحين تحت ستار اعارتهم هذه الآلات .

« لهذا ليس في ما يسميه الشيوعيون بالاصلاح الزراعي شيء من الاصلاح او الزراعة ، وفيه كثير من الشيوعية . انه ثورة مضادة غايتها اخضاع الريف لاستبداد السلطة المركزية . ولقد فضحته النتائج المؤلمة التي رأيناها في كل مكان ، من كوبا الى الصين الشيوعية ، مرورا برومانيا وروسيا . فالزراعة تهزل والحصيلة تتضاءل . وقد اعترف واحد وثمانون حزبا شيوعيا اجتمعت في بودابست بان سوء انتاج الاغذية يعد مشكل الشيوعية الاكبر ، ولم يتجرأوا فيقولوا

انها دملها الذي لا يشفى . وكان حريا بهم ان يسموه جريمتها لانها جريمة حقا ان تسخر الى هذا الحد اسباب رفاهية الشعب وحاجاته الاساسية لخدمة حزب واغراضه وسياسته .

« أما اسوأ هذه الجرائم فهو ما أرتكب في عهد ماوتسي تونغ بانشاء ما اسموه « الكومونـات » أو المجمعات الشعبية التي يتحول فيها الزراع الى عبيد لمشاريع اشبه بمشاريع السخرة الفرعونية ، ينامـون على الحرمان ويصحون باكرا كالجند ليشتغلوا ست عشرة ساعة في اليوم كقطعان الماشية ، يأكلون وقوفا في اماكن مزرية اين منها زرائب الحيوان ، وينامـون في الليل مشتتين ، الرجال في غرف للرجال والنساء في غرف للنساء والاولاد في غرف للاولاد ، وقد مزق شمل اسرهم شر تمزيق .

« وليت كل هذه الآلام اعطت مزيدا من الانتاج الزراعي . فقد كانت النتيجة مؤلمة وهي سنتان مـن المجاعة رهيبتان مات فيهما الملايين جوعا بعد الملايين من اخوانهم الذين ماتوا من العمل الشاق والعـذاب واليأس .

« هذا هو الاصلاح الزراعي الـذي حققتـه الشيوعية الصينية ، فيما تحققت الى جانب الاصلاح الزراعي المثالي في فورموزا ، اصلاحات زراعية حقيقية

في بلدان يسمونها « رجعية » رفعت مستوى الفلاحين والزراعة معا ، وحققت اصلاحا اجتماعيا عميقا كذلك الذي تحقق في يابان ما بعد الحرب .

« لقد اعطى الشيوعيون سكان الصين قليلا من الارز وكثيرا من الشعارات والنظريات . واعطى احرار الصين السكان قليلا من الشعارات والنظريات وكثيرا من الارز . ولا احسب المثقفين التقدميين يترددون في اختيار من يؤيدون من النظامين والاسلوبين ...

« واكتفي بان اذكر على سبيل المثال ، ان الصين الوطنية ، بفضل اصلاحها الزراعي ونظامها الحر ، تصدر ربع مليون طن من الارز ، يذهب معظمها الى اندونيسيا التي كانت تكفي نفسها بنفسها قبل ان تقع في براثن نظام سوكارنو ، الشيوعي في محتواه ومبناه .

« ولقد تحقق كل هذا التقدم وكل هذا النمو في الصين الحرة دون ان تلجأ السلطة الى شيء من اساليب العنف والاستبداد المألوفة في الانظمة الشيوعية . فلا بطاقات عمل ، ولا بطاقات اكل ولا ارهاق للفلاح والعامل ولا تسخير لهما .. لا تقنين ولا تحديد ، لا حرمان ولا مجاعة . لا مكبرات صوت تزبد وترعد في الشوارع لتحمس العمال والفلاحين اثناء العمل . لا لوحات شرف ولا لوحات اهانة في المصانع . لا تفضيل استبداديا للصناعة الثقيلة بل انماء للصناعة كلها ،

ومنها بالاخص صناعة سلـع الاستهـلاك . لا خطط خيالية بل تخطيط عاقل حكيم يصحح في ضوء التجربة والمراس . لا تسلط اداريا سياسيا جارفا ماحقا ، بل حرص على وضع ذوى الخبرة والاختصاص في اماكنهم ليقوموا بعملهم في جو من الحرية يشجع الابداع . لا ارهاب ولا غسل ادمغة ... وبكلمـة مختصـرة : لا شيوعيـة .

« وبعد ، من قال ان لا سبيل الى هز البـلاد المتخلفة وتخليصها من تخلفها الا بالشيوعية ؟ فلو كان ذلك صحيحا فلست ادري ماذا جاءت الشيوعية تفعله في براغ او ليبزيغ حيث يجيد الناس صنع القاطرات مثلا قبل روسيا بزمان طويل ... لقد اثبتت التجربـة بطلان المثل القائل بان يدا من حديد كيد الدكتاتوريـة الشيوعية قادرة وحدها على اخراج مجتمع متخلف من ركوده . فقد رأينا في بلاد مثل روسيا والصين وكوبا استبدت بها اليد الحديد تلك ، ان التقدم المادي فـي غير ميادين الصناعة الحربية ، بطيء ويتخلله الكثيـر من ظواهر التخلف بل التراجع ، كصناعة السيارات وشق الطرق والبناء وصناعة الالبسة وانتاج الاغذية . وعندنا من الامثلة في تقدم فورموزا المدهش وتطـور بلدان حرة غيرها كماليزيا وساحل العاج والسنغال ، ما يكفي لدحض ما تزعمه الاسطورة من ان الشيوعية وحدها قادرة على ادخال الاساليب التكنية الى البلدان المتخلفـة .

« فاذا قيل ان فورموزا لم تحرز هذا النمو العظيم الا بفضل المساعدة الاميركية ، فجوابي ان فورموزا قد تلقت حقا ، في غضون خمس عشرة سنة ، مليارا ونصفا من الدولارات مساعدة مدنية من اميركا ، ولكن هناك دولا اخرى تلقت من الاميركيين مساعدات اكبر من ذلك بكثير : اربعة مليارات تلقاها تيتو الشيوعي ، واكثر من ذلك تلقاه سوكارنو وغيره من الموالين للشيوعية في آسيا وافريقيا ، وكانت النتيجة ان المساعدة الاميركية لفورموزا ، وقد بلغت ٧ في المئة قد احسنت حكومة تايبه استعمالها واكملت بها مخططها الاصلاحي الانمائي وعرفت كيف تفيد منها في اصلاح مرافقها الاساسية .

« وبعد فان ما يطلب من البلدان المتخلفة التي تتلقى العون الخارجي الا تبدده . واكرر ان تيتو وسوكارنو ونهرو وسواهم قد تلقوا من العون الاميركي اكثر بكثير مما تلقته فورموزا ولكن اوضاع بلدانهم الاقتصادية باتت تدعو الى الشفقة ... »

الفصل السابع

المسلمون في الصين

—■—

المسلمون في الصين الحرة احرار ، ينعمون بنظام حكمها الديموقراطي ويترعرعون في ظله ويوسعون مجال عبادتهم وينشرون تعاليمهم وسائر اسباب نشاطهم . لقد انشأوا قبل حين مسجدا جديدا في العاصمة الموقتة تايبه يعد من مفاخرهم . زرته وتحدثت الى جماعة من السدنة والمؤمنين فيه .

انه بناء فخم على الطراز المعماري العربي ، محلى بنقوش وزخارف على الطراز الفارسي . وفي وسط شارع حسين شنغ الجنوبي في تايبه ترتفع منارتا هذا الجامع وقبابه الثلاث عاليا ، مسبحة الله ، رافعة الادعية اليه من ارض الصين واحرارها ان يرفع الغمة عن الباقين من المسلمين في البر الصيني ويخلصهم من الالحاد الذي يكتوون بناره ...

ويعد هذا الجامع من منجزات المسلمين البارزة في تايبه . وقد ساهم بنفقات انشائه ايران وتركيا وليبيا والاردن . وقدم مصرف الحكومة الصينية الحرة الرئيسي

في تايوان قرضا لمساعدة المؤمنين على بنائه . اما باقـــي النفقات ومجموعها مائة وخمسون الف دولار ، فقد جمعها المسلمون انفسهم في تايوان واخوانهم في ما وراء البحار .

ويختلف الجامع الجديد في تايبه عن الجوامع القديمة في البر الصيني التي انشئت على طراز المعابد الصينية ، ويشبه المساجد القائمة في البلاد العربية وايران . ويتسع صحن المسجد لستمائة مؤمن وتقوم فوقه قبة عظيمةبديعة مطعمة بالبرونز .

وقاعة الاجتماع في المسجد فسيحة تتسع لاربعمائة مقعد الى جـانب غرف الوضوء ، يحيط بكل ذلك حدائق تنورها شتى صنوف الازاهير الاستوائية .

ولقد صار المسجد الانيق منذ افتتاحه في نيســان ١٩٦٠ ، احد معالم عاصمة الجمهورية الصينية ومقصـد زائريها والسائحين في جزرها .

* * *

لقد جاء المسلمون الى جزيرة تايوان ، احد اقـاليم الجمهورية الصينية ، هربا من الاضطهاد الشيوعي الـذي عانوه وما يزال يعانيه اخوانهم في البر الصيني تحت وطأة الاستبداد والاضطهاد ، وسعيا الى الحرية ليمارسوا دينهم الحنيف في ظل النظام الحر .

زرتهم في مساجدهم ومصانعهم ومناصبهم الرسمية، فاذا بالعديد منهم يعرف اللغة العربية وببعضهم يتقنهـا كابنائها . وسواد المسلمين الاعظم أليوم هم من الاصقـاع البعيدة في البر الصيني ، امثال سنكيانغ وننغشيا . امـا الباقون فمن بعض المناطق القريبة كفوكين ونانغتونغ .

ولعل اهم ما تعنى به الطائفة الاسلامية هو أن تعيـد الى الدين مائتي الف نسمة ولدوا فيتايوان وهم من سلالة الصينيين المسلمين القدامى الذين نزلوا الى هذه الجزيرة قبل ثلاثمائة سنة مع البطل الفاتح كوكسنغا الذي استردها من ايدي الهولنديين .

وتعيش اكبر جماعة من هؤلاء في قرية لوكنغ علـى الساحل الغربي ، وتبلغ نفوسها اربعـة آلاف معظمهم مـن صيادي السمك . وتسعى الطائفة جادة في تعليمهم قواعد الدين وتثقيفهم على ايدي متطوعين من افرادهـا نـذروا انفسهم لهذه المهمة ، حتى ان احدهم ، وقد كان امام جامع كاوشونغ ، المنطقة الصناعية الكبيرة في البلاد ، ارتضى اخيرا وظيفة معلم دائم في لوكانغ . والجهود منصرفة الان الى انشاء جامع في هذه القرية الهانئة .

ولقد عنيت الحكومة عناية خاصة بان تتيح للمسلمين كل فرص الاتصال بالعالم الاسلامي فأقرت تعليم اللغـة العربية في معهد من اكبر معاهد التعليم العالي في تايـوان وهو جامعة شانغشي . واستاذ العربية في الجامعة هـو

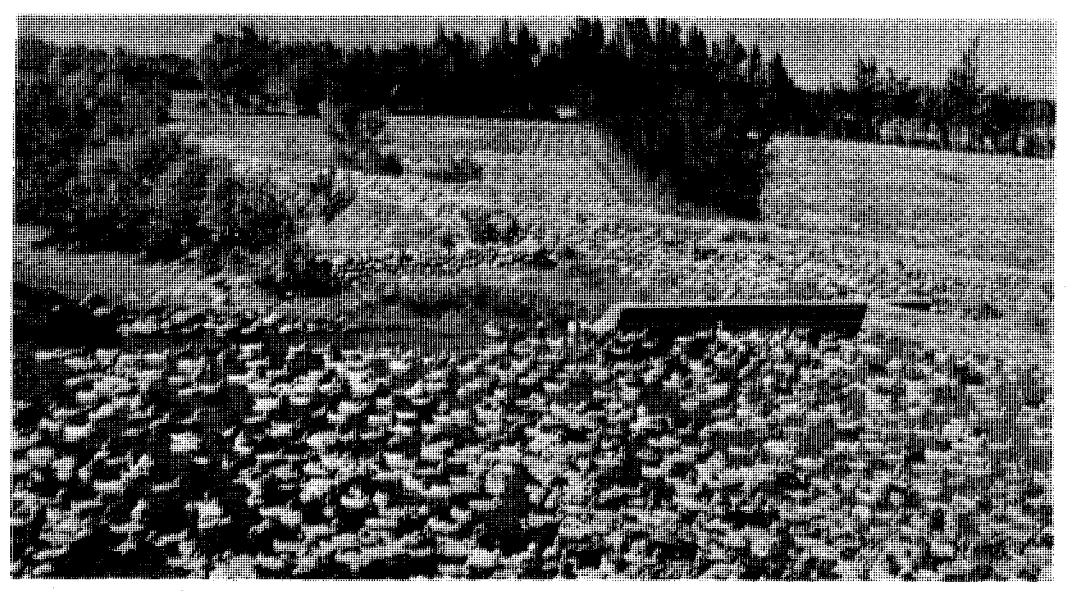
خريج من خريجي الازهر وامام تايبه الجديد ، ويشغل الى ذلك منصب رئيس قسم اللغات الشرقية في هذه الجامعة العظيمة .

ادهشني حقا ان ارى المسلمين ، وهم قلة ، يشغلون مناصب رفيعة في حكومة الصين الحرة . فالسيد خالد الشيخ هو مستشار بارز من مستشاري رئيس الجمهورية المارشال شيانغ كاي شيك . وهو كذلك رئيس الجمعية الاسلامية الصينية التي ترعى شؤون مسلمي تايوان .

والجنرال باي تشونغ سي رئيس هذه الجمعية السابق ، هو نائب رئيس لجنة المستشارين العسكريين في الشؤون الستراتيجية . والجنرال ماشنغ سيانغ هو وكيل قائد موقع حامية تايوان .

والمسلمون ممثلون كذلك تمثيلا جيدا في المجالس التشريعية الصينية الحرة . فلهم خمسة وعشرون نائبا في الجمعية الوطنية ، واربعة اعضاء في مجلس يوان التشريعي ، وعضو في مجلس الرقابة العام . وهناك عدد آخر من المسلمين يشغلون مناصب في السلك الديبلوماسي الصيني وفيهم واحد برتبة سفير .

اما الجمعية الاسلامية الصينية التي تسوس الكثير من شؤون مسلمي الجمهورية الصينية فقد انتقلت من البر الصيني الى جزيرة تايوان وركزت نشاطها فيها بعد ان



مشهد رائع لتربية البط في حقول تايوان

استولى الشيوعيون على زمام الحكم في البر الصيني . وقد حققت الجمعية في الصين الحرة امنية من اعز امانيها اذ انجزت ترجمة كاملة للقرآن الكريم الى اللغة الصينية ،على يد مجلس ترجمة خاص امضى سبع سنين في العمل المجد لتحقيق هذا المشروع الجليل . وسرعان ما انتشرت اربعمائة الف نسخة من الترجمة في جميع المكتبات ودور الكتب في اذار ١٩٥٩ .

وللجمعية الاسلامية مجلة شهرية تدعى « مجلة الجمعية الاسلامية الصينية » وهى تعنى بنشر مقالات عن الدين والشريعة واخبار عن البلاد الاسلامية وعن نشاط الجمعية نفسها .

وللمسلمين الصينيين الاحرار نصيب في تنوير المسلمين في البر الصيني وتشديد عزائمهم والتخفيف من آلامهم وشقائهم ، واطلاعهم على النشاط الديني في تايوان والبلدان الاسلامية في العالم . فالجمعية توجه اليهم اذاعة اسبوعية بواسطة هيئة الاذاعة الصينية الحرة . وهي التي تختار مذيعين باللغة العربية لبرامج الاذاعة الموجهة الى الدول الاسلامية .

وقد انبثقت من الجمعية الاسلامية الصينية دائرة شباب تعنى باقامة دورات صيفية للاولاد الذين تجاوزوا سن الثانية عشرة . وتتولى الدائرة كذلك تقديم الكتب والمجلات الى المقاتلين المسلمين في صفوف القوات الصينية

الحرة .

وهناك دائرة ثانية هامة تابعة للجمعية ، هي لجنة عصبة العالم الاسلامي . وتتولى هذه الدائرة توثيق الروابط وابقاء الاتصال دائما مع المؤمنين في الامم الاخرى . فمسلمو الجمهورية الصينية في تايوان قادرون شأن استمرار علاقاتهم بمراكز الاسلام التقليدية ، حق قدره . ولقد اوفدوا ، بمعونة حكومة الصين الحرة ، خمس بعثات حج الى مكة المكرمة في السنين الست الاخيرة . وكانت هذه البعثات بعد اداء فريضة الحج تزور البلدان الاسلامية الاخرى في طريق عودتها الى بلادها . وقد زارت جماعات عديدة من مسلمي الصين الحرة مصر وليبيا والسودان وتركيا وباكستان والملايو ، واتصلت بالهيئات الاسلامية في لبنان كذلك .

ومن نعم الحرية التي لمستها في نشاط مسلمي فورموزا ، ما وجدته في دور الكتب من ترجمات لعدد من الكتب العربية يتولاها الطلاب المسلمون في الجزيرة . ولعل ابرزها ترجمات « ثلاث سير لحياة الرسول » و « الشريعة الاسلامية » و « الاسلام في الصين » و « خمسون درسا في الاسلام » و « العالم الاسلامي » .

ولا يقتصر نشاط المسلمين في فورموزا على العاصمة تايبه . فهناك جمعيات ناشطة في العاصمة الريفية تايشونغ وفي المركز التجاري الصناعي الكبير كاوشونغ ، ثاني اكبر

مدن الجزيرة واهم مرافئها . وقد حدثني بعض اركان الجمعية عن مشاريع لانشاء العديد من المساجد الجديدة وتوسيع مجال النشاط الاسلامي في الصين الحرة ، بروح الواثق من نفسه ، المعتد بعقيدته ، المؤمن برسالته ...

وقالوا عما حققته الجمعية اخيرا ، الى جانب انشاء الجامع الجديد في تايبه ، انها شكلت لجنة استشارية لتتولى ادارة شؤون الجامع ، وانها تعنى بتنظيم بعثات الحج كل موسم . وقد ارسلت بعثة من خمسة اعضاء الى كوالالمبور برئاسة البروفسور الحاج خالد شيخ رئيس الجمعية ، للمشاركة في الاحتفال بعيد ماليزيا الوطني في السادس عشر من ايلول ١٩٦٣ .

وتهتم الجمعية كذلك بشؤون زائري الجمهورية الصينية من المسلمين وتؤمن لهم الفنادق وتقوم باودهم مدة زيارتهم . وتعنى الجمعية بايفاد الطلبة المسلمين الى مختلف البلدان الاسلامية ليتعلموا فيها . وقد ارسلت بعضهم الى العراق وتركيا والمملكة العربية السعودية وليبيا لهذه الغاية . وهي تمد يد العون والرعاية للطلبة المسلمين الآتين من الملايو والاردن وليبيا وزنجبار وتركيا ليتعلموا او يتدربوا في جامعات الصين الحرة ومعهد التدريب الزراعي الفني للاختصاصيين الافريقيين .

وللجمعية دور كبير في تنشيط الحركة للجمع والتقريب بين مسلمي جنوب آسيا الشرقي . وقد اغتنمت

فرصة اجتماع الوفود الاسلامية في تايبه ، لمناسبة تدشين مسجدها الجديد ، فنظمت مع وفود بروناى والفلبين واليابان اجتماعا للتشاور في توثيق تعاون مسلمي المنطقة لما فيه سلامتهم وصون حريتهم الدينية وممارسة تعاليم دينهم القائمة على مبدأ كرامة الانسان والقيم الروحية التي يحلها المقام الاول . وقد اصدر المجتمعون بيانا اعلنوا فيه ان من الضروري تعاونهم في القيام بالمهام التالية :

ـ اقامة الروابط وتوثيقها بين المسلمين في الدول الحرة الآسيوية الجنوبية الشرقية ، وتشجيع تبادل الافكار والآراء بينهم .

ـ تنفيذ ما رسم من خطط لعقد مؤتمر يضم مسلمي البلدان الحرة في المنطقة على نحو ما نادى به في الاصل الزعماء المسلمون امثال تنغو عبد الرحمن بوترا ، والحاجي زعيم مسلمي اتحاد ماليزيا ، والوزير البورمي الرشيد وعضو مجلس الشيوخ في الفلبين الشيخ أحمد دوموكاو الانتو .

ـ اتاحة الفرصة لجميع مسلمي جنوب آسياالشرقي، بكل الوسائل الممكنة ، ليعرفوا حقيقة الدين الاسلامي وتعاليمه وتقاليده .

ـ توحيد جميع مسلمي جنوب آسيا الشرقي وتحذيرهم من اخطار العقائد الملحدة وضرورة مقاومتها

بشتى الوسائل .

ـ العمل للاخذ بأيدي المسلمين الواقعين في قبضة الشيوعية ليتمكنوا من استرداد حريتهم الدينية وممارسة شعائر دينهم والعمل بموجب تعاليمه .

ـ تنظيم العناصر المسلمة المشتتة وغير المعروفة في البلدان الحرة في آسيا الجنوبية الشرقية ، والعناية بشؤونها الروحية والزمنية .

ـ اقامة روابط ثقافية بين مسلمي جنوب آسيا الشرقي بتشجيعهم على تبادل الثقافة والكتب والنشرات من صحف ومجلات ودراسات .

ثم نظمت الجمعية لقاء بين وفدها والوفود الاسلامية من تركيا وايران وباكستان والملايو ، بحضور مراقبين من المملكة العربية السعودية وليبيا والاردن والمغرب والكامرون، لمناسبة مؤتمر عصبة مكافحة الشيوعية الذي انعقد في تايبه في حزيران ١٩٦٠ ، تبادلوا فيه الآراء بشأن قضايا العالم الاسلامي استنادا الى البيان الذي اذاعه ممثلو مسلمي بروناي والفلبين واليابان والجمهورية الصينية . واعلن المجتمعون موافقتهم على ما تضمنه هذا البيان واعتبروه قاعدة لا بد منها لتحقيق تضامن المسلمين في آسيا الجنوبية الشرقية وفي العالم اجمع ، والتعبير عن روح الاسلام ونشر تعاليمه . ونادى المجتمعون في ختام البيان الذي اذاعوه ،

بضرورة العمل للاسراع في انشاء منظمة دائمة لمسلمي المنطقة ،وتعهدوا بتأييد الجهود المبذولة في هذا السبيل تأييدا كاملا .

على أن من اهم ما يشغل مسلمي الصين الحرة ويقلقهم ، مصير اخوانهم في البر الصيني . وتعنى الجمعية الاسلامية الصينية بتشديد عزائم المسلمين الواقعين تحت الحكم الشيوعي والعمل على توحيد صفوفهم في مناوأة هذا الحكم بكل وسيلة ممكنة والسعي في تحطيمه . ولا تدخر الجمعية جهدا في هذا السبيل ، سواء عن طريق هيئة الاذاعة الصينية المخصص لها جانب من البرامج ، او عن طريق ارسال نشرات التوعية والتوجيه بالبالونات وغيرها الى البر الصيني عبر المضائق الفاصلة بينه وبين الجزيرة .

ولقد ثبت لي ان الاتصال غير منقطع ، ولو سرا ، بين الصينيين الاحرار واخوانهم في البر الصيني ...

وخرجت من بحثي ومناقشاتي وانا على يقين من ان كل الفرص متاحة لمسلمي الجمهورية الصينية ، في ظل نظامها الحر ، كي يمارسوا دينهم وينشروا تعاليمه وألويته ويدافعوا عنه ويكافحوا في سبيله حيثما شاؤوا .

* * *

ومن الاهداف الاولى التي يضعها مسلمو الصين الحرة نصب اعينهم في كفاحهم هذا ، المشاركة بالجهد الوطني العام

لتحرير البر الصيني ، لان في تحريره تحريرا لملايين المسلمين المضطهدين هناك . وعندهم من الشواهد على اضطهاد اولئك المسلمين ما لا يحصى . ففي الصين الشيوعية اكثر من ثمانية واربعين مليون مسلم ، حسب احصاء الحكومة الوطنية سنة ١٩٤٤ ، يتفنن الشيوعيون في اخراجهم من الاسلام لادخالهم في الشيوعية المادية الملحدة ، وتشريد وتقتيل من قاوم منهم .

ولا ينسى الشيوعيون ما قاساه الجنرال هسيانغ تشين ، احد قادتهم العسكريين ابان الثورة ، قبل حرب المقاومة ضد اليابان ، من الضربات القاصمة التي سددها اليه المسلمون في تشنغهي لما حاول غزو مقاطعات الصين الشمالية الغربية عن طريق مقاطعتي تشوان وشكيانغ . فقد قاوموه مقاومة ضارية دفاعا عن دينهم وتقاليدهم . فلما وصلت القوات الشيوعية الى مقربة من بينان ، شمالي مقاطعة شانسي ، اخذت جماعات من اعضاء الحزب الشيوعي ترسل الى المقاطعات التي يقيم فيها المسلمون في كانسو وينغشا وتشنغهي لتحاول اكتساب الزعماء والقادة العسكريين المسلمين الى صفوفها واستنفارهم ضد الحكم الوطني ولتنشىء مدارس اسلامية بالاسم شيوعية في الجوهر ، مهمتها تشكيك المسلمين في دينهم وتسميم عقولهم وحملهم على اعتناق العقيدة الشيوعية .

وراح الشيوعيون ، تحت ستار الاهتمام باحوال المسلمين وطريقة عيشهم يندسون في صفوفهم عن طريق

دعوة مضللة براقة هي القضاء على الروح العنصرية والاقطاع .

ولما استتب الامر للشيوعيين واستولوا على زمام الحكم في البر الصيني سنة ١٩٤٩ ، اسفروا عن وجوهه وبدأوا يضطهدون المسلمين علنا ويعملون في صفوفهم تمزيقا وتشريدا ليفرقوهم ايدي سبأ فيعزلوهم فتذهب ريحهم ..

لقد قسموا المسلمين الى عشر فئات عنصرية ، كما جاء ذلك في كتاب «الشؤون الحاضرة» في طبعته للعام ١٩٥٦ وهي :

هوى واوغور وكازاك وتونفشيانغ وكيركيز وسالا واوزبك وتاجم وتتر وباوان .

وجاء في طبعة الكتيب المذكور للعام ١٩٥٧ ان الصينيين الشيوعيون يقسمون المناطق التي يسكنها المسلمون الى عدة مقاطعات تتمتع بحكم ذاتي وهي :

- منطقة سنكيانغ اوغهور المستقلة
- منطقة نيغسياهوى المستقلة
- اقليم نيغسهياى هوى المستقل
- اقليم كويوان هوى المستقل
- اقليم الي كازاك المستقل
- اقليم غاسليوسو كيركيز المستقل

- اقليم تشانغكي هوى المستقل
- مقاطعة تاشانغ هوى المستقلة
- مقاطعة منغستون هوى المستقلة
- مقاطعة اكسيه كازاك المستقلة
- مقاطعة تشانغيشياتشون هوى المستقلة
- مقاطعة تشيغيوان هوى المستقلة
- مقاطعة وى يوان هوى المستقلة
- مقاطعة هوا لونغ هوى المستقلة
- مقاطعة هسون هواسالا المستقلة
- مقاطعة ينكي هوى المستقلة
- مقاطعة موليه كازاك المستقلة
- مقاطعة باريكون كازاك المستقلة
- مقاطعة هاجوكوركان تاجيم المستقلة
- مقاطعة وينينغ هوى مياوبى المستقلة
- مقاطعة بانغستو هوى المستقلة

وراح الحزب الشيوعي ينشر في صفوف المسلمين كتاب « وجهة النظر الماركسية اللينينية في الدين » وهو الكتاب الذي اصدرته مطبعة « تايم بريس » الصينية في بيكين سنة ١٩٥٣ ، وقد جاء فيه على لسان ماركس : « الدين منوم الشعوب ومخدرها ، بل هو اسوأ انواع المخدر » وعلى لسان ستالين : « لا يمكن للحزب ان يقف من الدين موقف الحياد واللامبالاة. ففكرة الدين الخلقية معارضة لوجهة النظر الشيوعية ومناقضة لها . »

ونشر الحزب كذلك كتاب « العلم » المناهض للدين الذي اصدرته مطبعة الشباب الصيني « تشاينيز يوث » سنة ١٩٥٥ وفيه يوصف الدين بانه اداة في ايدي الطبقة المستبدة وعقبة تعيق مسيرة المجتمع الاشتراكي نحو الشيوعية ، وذلك في الحملة الشيوعية على الاديان كلها : المسيحية والاسلام والبوذية جميعا .

ولقد تمكن الحزب الشيوعي من المسلمين بتقسيمهم وتمزيق مجتمعاتهم . مثال ذلك انه بعد تقسيم المناطق الادارية الاسلامية في مقاطعة سنكيانغ ، فرض على المسلمين غير المقيمين في المناطق المخصصة لهم وفق جنسياتهم ، ان ينتقلوا الى تلك المناطق . ثم جعل الحزب يختار لكل اقلية من المسلمين جماعة كبيرة من الشباب العاملين او من ضحايا الفيضان والجفاف والعناصر اليمينية او من المحكوم عليهم بالنفي والاشغال الشاقة ، كي يختلطوا بالاقليات المسلمة فيطغوا عليها بكثرتهم الساحقة ويجعلوها نسيا منسيا .

واتبع الحزب خطة ثانية للقضاء على المسلمين ، وذلك اما باستخدام بعض زعمائهم النافذين وشرائهم للعمل ضد ابناء دينهم ، او القضاء على البعض الاخر ، او بأثارة بعضهم على بعض حتى يتصارعوا ويقتتلوا .

ولقد سام الحزب الشيوعي المسلمين ما تسامه الانعام وصفى العديد من زعمائهم دونما رحمة ، بينما

استطاع ان يغري عددا آخر منهم بالمناصب والنعم ، امثال شوتي بيه ، وتشين ما ، ويوهويه ما ، حتى جعلهم عملاء لنظام حكمه .

وفي العام ١٩٥٢ اسس الشيوعيون اللجنة التحضيرية للجمعية الاسلامية تمهيدا لانشاء الجمعية الاسلامية الصينية في بكين . فلما قامت هذه الجمعية على النحو الذي ارادوه ومن العناصر التي اختاروها هم ، حولوها رويدا رويدا الى امضى سلاح للتسلل الصيني الشيوعي في جنوب آسيا الشرقي وبعض مناطق الشرق الاوسط وافريقيا .

* * *

وتترى الشواهد على اضطهاد المسلمين في البر الصيني ... فبعد ان تم للشيوعيين تمزيق شمل المسلمين والقضاء على زعامتهم ، رسموا خطة محكمة لطمس معالم الاسلام ومنع انتشاره . فقد دمروا في سنتي ١٩٥٠ و ١٩٥١ عدة جوامع في تانب تين مين وفي تيه تشنغ تونغ وعدة مناطق من العاصمة بيكين . واثاروا على يد جماعات صغيرة استخدموها من المسلمين المقيمين في بيكين ، حملة تنادي بان يأكل المسلمون لحم الخنزير .

وما لبثوا ان استولوا على املاك الاوقاف الاسلامية التي تعود الى مختلف الجوامع بحجة ادخالها في نظام الاصلاح الزراعي . وبذلك فقد رجال الدين مصدر عيشهم فهجروا ما لم يدمر من الجوامع . وارغم نحو ثلاثمائة من

رجال الدين في جامع شيننغ (من اعمال مقاطعة تسنغهي) جميعهم على ترك تدريس القرآن والتفتيش عن مورد رزق آخر ...

وتشهد مقاطعة سنكيانغ بما عاناه ويعانيه المسلمون من اضطهاد الشيوعيين في البر الصيني . فقد استولت السلطة سنة ١٩٥٠ على محاصيلهم للسنين الثلاث السابقة، وفرضت على مربي الدواجن والمواشي منهم دفع الضرائب عن ثلاث سنين في سنة واحدة ، وعلى التجار ان يقدموا بيانا يوميا بالصفقات التي يعقدونها ، وتقاضت ضرائب باهظة على الاملاك .

ومن الشواهد ما قاله السيد سولا ، وهو من المسلمين الذين استطاعوا الهرب من البر الصيني الى العالم غير الشيوعي سنة ١٩٥٥ . فقد شهد بان السلطات الشيوعية استولت على اراضي المسلمين وماشيتهم ودواجنهم وقال : وفي بلدنا ، وهو من مصادر اللحم ، يندر ان يتمكن احدنا من شراء قطعة لحم كل ستة شهور ... وسنابل الذرة التي كنا نعلف بها خيولنا اصبحت الان طعاما ثمينا لشعبنا المسكين . اما الشاي والسكر فلم نذق طعمهما في السنين الخمس الاخيرة لانهما وقف على اعضاء الحزب الشيوعي وحدهم .

ومن الشواهد الاخرى ما اعترف به مقال نشرته ، في العاشر من كانون الثاني ١٩٥١ ، جريدة « كانسوديلي »

التابعة للحزب الشيوعي الصيني ، عن اضطهاد المسلمين ، وجاء فيـــه :

« لقد ارتكب اخواننا من اعضاء الحزب اخطــاء فادحة في تصرفهم السياســي . فليـــس في الادارة الحكومية في منطقة هوهسين مثلا ، مسلم واحد ، ولا يسمح للمسلمين بالعودة الى المنطقة حتى في الاحــوال الطارئة . وفي مقاطعة لينغسهي اصدرت السلطة قرارا يقضي بان يكون ثلثا اعضاء الحرس الوطني من غيــر المسلمين . ووقعت عدة حوادث في اماكن مختلفة ذهب ضحيتها عدد من المسلمين . فبعضهم شنق وبعضهم ضرب حتى الموت اثناء حملات تفتيش عن الاسلحــة ومصادرتها . »

وسرد المقال حوادث اخــرى ، في معــرض التنديد بتصرف اعضاء الحزب ــ مع ان هؤلاء الاعضاء انما كــانوا في الواقع ينفذون سياسة الحزب ومخططه بكل دقة ــ بعد ان اشتد الاستنكار لحملة اضطهاد المسلمين ، منها نشــر شعارات تنعت المسلمين باللصوص ، وتقول : « يمكنك ان تتناول الطعام الى مائدة مسلم ، ولكن من الخطر كــل الخطر ان تستمع الى اقواله ... » و « المسلمــون قــوم يثورون ثورة صغيرة مرة كل عشر سنين ، وثورة كبيــرة مرة كل ثلاثين سنة » .

ومن الشواهد الرهيبة على اضطهاد المسلمين مــا

اعلنه تيه هويه ينغ ، رئيس اللجنة العسكرية والسياسية في شمال الصين الشرقي سنة ١٩٥٠ من ان ثمانية وخمسين الف مسلم من الزعماء والشباب المناهض للشيوعية ، قد قتلوا في مقاطعة سوى يوان وحدها بين تشرين الاول ١٩٤٩ وتشرين الثاني ١٩٥٠ ، وان ٩٠ حادثة وقعت بين ايلول ١٩٤٩ وشباط ١٩٥٠ وقتل فيها عدد من الصينيين المسلمين وذلك لما كان رئيس حكومة الشعب الاقليمية في سنكيانغ .

وكذلك ما اعلنه شو شان تشاو حين كان رئيس الحكومة الاقليمية الشعبية في تشنغهي ، في تقرير الى رئيس الوزراء ، من ان ثلاثمائة واربعين مسلما قد شنقوا لانهم اقاموا شعائرهم الدينية خلافا لاوامر الحكومة .

ومن اقرب الشواهد لدى مسلمي الصين الوطنية على اضطهاد اخوانهم في البر الصيني ، ما قالته السيدة عائشة ، الامينة العامة السابقة لحكومة سنكيانغ الاقليمية ، وهي الآن حرة تقيم في جزيرة فورموزا . فقد بعثت برسالة الى بولبارز خان ، زعيم المسلمين الروحي في مقاطعة سنكيانغ ، تخبره فيها بانها علمت من محطة الاذاعة في اورشي ، ان المدعو عثمان واربعة وعشرين شخصا ، وجميعهم من المسلمين ، قد قتلوا في احدى حوادث الاضطهاد ، وان هاتنغبانغ المدير الاداري في خوتان قد قتل هو وعشرات غيره في حادثة ثانية .

وفي تقارير اخرى ان عشرة آلاف من المسلمين

الصينيين قد ابيدوا على بكرة ابيهم في ثلاث مناطق من سنكيانغ هي : كاس واكسو وايللي ، ولم ينج منهم سوى رجل واحد يدعى مسعود . وكان بين الضحايا المدير الاداري السابق في كاس ويدعى عبده كليموما هاسومو ، والمدير الادارى في اكسو السيد الساطي ، وبطل من ابطال المقاومة المسلمة في ايللي ويدعى غانيتو .

وقد قاوم المسلمون الصينيون الشيوعية في البر الصيني مثلما قاومها اخوانهم في العالم اجمع ورفضوا الخضوع لها . ووصلت مسلمي الصين الوطنية انباء حديثة عن بعض حركات المقاومة ، ومنها ما نشرته « بيكين ديلي » في عدد الثاني عشر من اذار ١٩٦٧ ، من انه اكتشف في بيكين سنة ١٩٦٦ مقر لجماعة الثوار المسلمين المناهضين لافكار ماوتسي تونغ في شارع اوكس من منطقة هسوان وو في بيكين ، وهو حي تسكنه كثرة المسلمين ، وان السلطات الشيوعية اعتبرت هذه المنظمة قوة رجعية تحاول استعادة النفوذ الرجعي في اوساط المسلمين واثارة حركة مناهضة للثورة الثقافية .

وقالت الصحيفة الشيوعية عن اعضاء الجمعية انهم مزارع ثري وثلاثة سجناء اطلق سراحهم حديثا واربعة من معتنقي الافكار الرجعية وثمانية من المرتشين ورأسمالي رجعي وتسعة من الفئات الشريرة وامام رجعي !

وروت الانباء سلسلة من حوادث انتفاض جماعات

المسلمين على السلطات الشيوعية . فقد تحركت في الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩٦٦ ضد افراد الحرس الاحمر والطلاب وطردتهم من محلة اوكس في بيكين بمعونة جماعة من الاهلين بعد ان حرضتهم على مقاتلة مضطهديهم . ثم انها سجنت عددا من افراد الحرس الاحمر في غرفة صغيرة طوال سبع ساعات واعلنت انها ستعمل على حل منظمة الحرس الاحمر في المنطقة . وبعد عشرة ايام من تلك الحادثة انقض ثلاثمائة مسلم على قوة من الحرس الاحمر وطوقوها قرب احد الجوامع وانهالوا عليها ضربا وتأديبا . ثم اتبعوا ذلك بهجوم آخر في الثامن عشر من كانون الثاني ١٩٦٧ على مركز شرطة في محلة اوكس وقذفوه بالحجارة وهاجموا افراده وجرحوا عددا منهم .

وتوالت نجدات الشرطة وضربت طوقا على المهاجمين فاستطاع هؤلاء ، بمساعدة انصارهم ، ان يخرقوا الجدار البشري رغم كثرة افراد الشرطة ، وتظاهروا مطالبين باخلاء مركز الشرطة وتسليمهم اياه . وانتهى الحادث بسقوط بضعة جرحى من قوى الامن واعتقال ثلاثة من الزعماء المسلمين .

وفي اليوم التالي تسلح المسلمون بالعصي والمدى والهراوات واستعدوا لهجوم واسع النطاق . ولكن الحرس الاحمر والشرطة مع عدد من الطلاب الشيوعيين جابهوهم بالاسلحة النارية فتفرقوا .



رش مبيدات الحشرات والامراض الزراعية التي تنتجها تايوان والتي كانت عاملا مهما من عوامل زيادة انتاج الحقول الزراعية في الجمهورية الصينية

ولم يخف السكان المناهضون للشيوعية في اوكس ابتهاجهم باخبار تلك الهجمات الجريئة التي شنها المسلمون على السلطات الشيوعية ... وتعددت الهجمات بعد ذلك واتسع نطاقها . ففي الثالث من شباط تولى نائب زعيم جماعة الثوار المسلمين بي لان هان قيادة ثمانمائة رجل في هجوم جديد على مركز الشرطة المذكورة . وقد استطاعوا ان يقتحموه هذه المرة وحطموا كل ما وصلت اليه ايديهم واعتقلوا افراد الشرطة بعد ان انذروهم بالاستسلام او الموت .

وفي اليوم التالي حطم الثوار المسلمون سيارة من سيارات الدعاية التابعة لمركز الامن الشيوعي ومزقوا العلم الاحمر الذي كانت تحمله وصورة ماوتسي تونغ وهم يهتفون : « هشموا رؤوس الشرطة ... احرقوا الطغاة حتى الموت ... اطلقوا عليهم النار ... مزقوهم ... »

وحرضت الجماعة جمهورا غفيرا على افراد الحرس الاحمر فهاجمهم قرب جامع اوكس وحطم النوافذ التي علقت عليها صور ماوتسي تونغ واشعل النار فيه .

* * *

شرع الصينيون الشيوعيون حملة اضطهادهم الاديان سنة ١٩٥٠ . فقد شنوا في تلك السنة حملة على المسيحيين فعذبوا وشردوا وذبحوا عشرات الالوف منهم ، في نطاق الحملة العامة على الاقليات الدينية التي تسكن المناطق

النائية وهي من المسلمين والمسيحيين والبوذيين واللاميين. وفي العام ١٩٥٢ قتلوا معظم الزعماء المسلمين ونفوا العديد منهم . ومنذ تلك السنة اشتدت حركة مقاومة المسلمين للشيوعية وعلى رأسها الترك .

وحاول الشيوعيون تقسيم المسلمين مدعين ان الترك فئة ، والمسلمين من كازاخ ويوغو فئة اخرى . ولكن جميع المسلمين اتحدوا في حركة المقاومة وبدأ زعماؤهم ما سونغ كنغ وما يوان ، وكلاهما من مقاطعة يونان ، وماتسي وين وما وين تنغ ، وكلاهما من تسنغاي ، وما كاي شان ، من مقاطعة كانسو ، وسوش سيشان من مقاطعة هونان ، حملات مقاومة ، كل في منطقته ، يوحدهم هدف مشترك هو الحفاظ على كيانهم ومعتقداتهم وحريتهم ومنع الشيوعيين من الطغيان عليهم .

وفي الرابع من نيسان ١٩٥٨ قاد الزعيم المسلم ما تسنغ وو حركة مقاومة مسلحة في منطقة سيشي لحماية مدينة كونغباي ، مركز الاسلام في الصين ، من سيطرة الشيوعيين.

وقام المسلمون واقليات اخرى يطالبون بالاستقلال الذاتي دفاعا عن كيانهم وحفظا لحقوقهم . وفي النصف الاول من العام ١٩٦٥ تضافرت الاقليات في سنكيانغ ،وفيها المسلمون اليوغور والكازاخ (او الكازاك) فشنت حملة على الشيوعية وجماعة ماوتسي تونغ بالذات ، شملت اكثر من

عشرين مدينة في مناطق ايللي وتاشانغ والاتاي وجنوبي سنكيانغ .

وقد سبقت هذه الحركة الكبيرة حركات مقاومة اصغر منها بدأها المسلمون في مقاطعتي كانسو وننغسيا في ايار ١٩٥٠. حين قاد الزعيم المسلم ما شنغ وو جماعة من المقاتلين في هجوم على بنغليانغ .

وتبعت هذه الحركة حركة ثورية اخرى في نيسان ١٩٥٢ لمقاومة « الاصلاح » الزراعي الشيوعي . وحمل الزعيم نفسه ما شنغ وو ، السلاح هو ورجاله من الفدائيين ضد الشيوعيين مرة اخرى في نيسان ١٩٥٨ حين هاجموا افراد الحزب واستولوا على التعاونيات ومؤسسات النقل الشيوعية .

ثم ما لبث المسلمون ان قاموا بحركتهم الثورية الرابعة في حزيران ١٩٥٨ في ولاية تونغسين من اعمال مقاطعة نينغسيا ، بقيادة زعيمهم المغوار نفسه ، وشعارهم « فلنعلنها جمهورية اسلامية » دون ان تخيفهم حملات القمع والتقتيل الشيوعية الرهيبة ...

واذا كانت كل هذه الحركات لم تثمر بسبب بطش الشيوعيين ولانها لم تلق سندا خارجيا ، فقد كان من ثمارها انها عمقت حقد المسلمين على نظام الحكم الشيوعي في الصين وجعلتهم يتربصون به الدوائر في كل حين ...

قال وين تشنغ يانغ ، زعيم جماعة المقاومة المسلحة من مسلمي الصين الشيوعية :

« اننا جماعة من السمر نريد مجابهة جماعة الحمر لنقتلهم . ولن يثنينا شيء عن عزيمتنا وجهادنا ... ان للصبر حدودا . ولقد صبرنا وعانينا من الاضطهاد سبع عشرة سنة ، وحان لنا ان ننقلب على الطغاة الشيوعيين ونقاتلهم دون هوادة » .

الفصل الثامن

الصين والعالم العربي

ان نمض في الحديث عن الصين الوطنية وسياستها ومبادئها ونهضتها الاقتصادية ، ينبغ ان نذكر لها مواقف من البلاد العربية شريفة . فهي لم تعترف باسرائيل ولا تتاجر معها . بل انها استنكرت اخيرا عدوانها على العرب في حرب الايام الستة الشهيرة في حزيران ولجوءها الى القوة للغزو والتوسع . وقد اعلن المسؤولون فيها امام مجلس الامن وخارجه ، ان العدوان يجب الا يثمر ، وان على القوات الاسرائيلية ان تنسحب من الاراضي العربية التي احتلتها ، على ان تدرس قضية اللاجئين كي تحل حلا عادلا .

قال الشيخ صالح صن شون وو ، النائب الصيني الوطني وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي ، عند زيارته المملكة العربية السعودية :

« يدعوني الواجب ان اشرح موقف اخواننا المسلمين في الجمهورية الصينية من العدوان الصهيوني الغاشم على المقدسات الاسلامية . انهم يتجهون اليوم بكل مشاعرهم وكل ما في طاقتهم من جهد ، مع اخوانهم هنا ، للبحث عن الوسائل الكفيلة بأعادة

حقنا المشروع . ويرى مسلمو الصين من واجبهم ان يسلكوا كل طريق تكفل لهم اعادة هذا الحق في القدس الشريف . فاعتداء اسرائيل موجه الى المسلمين جميعا . وقد كشفت اسرائيل عن سوء نيتها ومخططها العدواني ضد الاسلام والمسلمين . واني لادعو المسلمين في هذا الظرف العصيب الذي تمر به امتنا ، الى ان يرصوا صفوفهم ويسووا مشاكلهم ويقفوا جبهة واحدة في وجه خطط الصهيونية والاستعمار التي تهدف الى القضاء على الاسلام . »

ثم قال :

« ولقد درست حكومة الجمهورية الصينية الوطنية قضية العدوان الاسرائيلي على الوطن العربي فاعلنت انها لا تؤيد اي توسع تقوم به اية دولة ، وتستنكر العدوان الاسرائيلي على العرب وتشجبه ، وتطلب انسحاب الجيوش الاسرائيلية الى ما وراء خطوط الهدنة التي اقرت سنة ١٩٤٨ ، والبحث في حل مشكلة اللاجئين .

« وان اهم ما يشغل بال المسلمين في الشرق الاقصى هو كيف يمكن استرداد فلسطين والمقدسات الاسلامية من ايدي الاعداء . وهم ينظمون صفوفهم لخوض معركة الشرف والكرامة اذا عجزت المحافل

الدولية والمساعي السياسية عن حمل اسرائيل على الانسحاب .

« واني احمل اقتراحا لعقد مؤتمر ذروة اسلامي . واغتنم هذه الفرصة لاحيي باكبار ، سياسة الملك فيصل الحكيمة ، من اجل الحق الاسلامي وسلام العالم . »

وللصين الوطنية ، بعد ، علاقات صداقة وتعاون متينة مع الدول العربية . فهي ممثلة لدى معظمها ، وتمد يد المساعدة الفنية في الزراعة والصحة الى المملكة الليبية والمملكة العربية السعودية .

وقد تبادل العديد من المسؤولين والنواب والاداريين والزعماء المسلمين في البلاد العربية والصين الوطنية ، زيارات التعاون والود . وعززت الصين الوطنية تبادلها التجاري والثقافي مع البلاد العربية بفتح مكتب ملحق اقتصادي لها في بيروت ، وارسال بعثات تجارة وصداقة وثقافة الى لبنان والمملكة العربية السعودية والمملكة الاردنية الهاشمية ودولة الكويت .

وكنت في تايبه لما حل عيد المملكة العربية السعودية الوطني ، فوجه القائم باعمال السفارة السعودية في الصين الوطنية ، السيد زين دباغ ، رسالة الى الصحافة قال فيها :

« يطيب لي في هذا اليوم التاريخي ان اذكر ان الروابط المتينة القائمة بين الجمهورية الصينية والمملكة العربية السعودية تنمو باطراد ، وان ثقافة الصين والعرب وتاريخكم وتاريخنا قد اثبتت تعاوننا وقامت بنصيبها في توثيق الاواصر واعطت مثلا حيا لحضارتنا اليوم .

« ولا تقوم العلاقة بين بلدينا على مصالحهما السياسية والاقتصادية فحسب ، بل كذلك على رغبة زعيمين كبيرين من زعماء الصين والعربية السعودية ، هما الرئيس شيانغ كاي شيك والملك فيصل في العمل لسلام العالم وحريته وامنه .

« ولقد اثبت رئيسا الدولتين في مناسبات عديدة في الماضي معارضتهما الشديدة للشيوعية والمبادىء الهدامة التي تقوم عليها . ويبرز هذان القائدان العظيمان في آسيا ، اليوم ، على انهما الزعيمان اللذان كافحا وقاوما انتشار الشيوعية واغراضها الهدامة ».

* * *

فاذا نظرنا الى الصين الشيوعية ومواقفها من الدول العربية ادهشنا فيها تناقض شديد . ففيما كانت وعودها المعسولة بالعون للعرب توزع ذات المشرق وذات المغرب ، كان وزير الخارجية الصيني الشيوعي شوان لاي يوجه رسالة الى وزير الخارجية الاسرائيلية موشي شاريت ، تعد بمثابة اعتراف بأسرائيل . فقد قال فيها ما نصه الحرفي

كما جاء في المجلد رقم واحد من « صحافة المعرفة العالمية » ١٩٥٧ ـ بيكين ، الوثيقة رقم ٢ تحت عنوان برقية جوابية من حكومة الصين في بيكين الى حكومة اسرائيل :

« الى سعادة وزير الخارجية موشي شاريت ، حكومة اسرائيل ، تل ابيب .

« باسم حكومة الشعب المركزية لحكومة الصين الشعبية ، ابلغكم بهذا الكتاب ، تسلمي برقية سعادتكم المؤرخة في ٩ كانون الثاني ١٩٥٠ .

« وباسم حكومة الشعب المركزية لجمهورية الصين الشعبية ، انقل اليكم ترحيبي وشكري للقرار الذي اتخذته حكومة اسرائيل تجاه حكومة الشعب المركزية لجمهورية الصين الشعبية ، ولتمنياتكم وتهنئتكم للشعب الصيني التي امتدت الي شخصيا . »

التوقيع ـ شو ان لاي
وزير خارجية حكومة الشعب المركزية
لجمهورية الصين الشعبية
في ١٦ كانون الثاني ١٩٥٠

اما برقية حكومة اسرائيل الى حكومة الصين الشيوعية فهذا نصها :

« الى سعادة شو ان لاي رئيس الوزراء ووزير

الخارجية في الحكومة المركزية لجمهورية الصين الشعبية ـ بيكين

« لي الشرف بان ابلغ سعادتكم ان حكومة اسرائيل اتخذت قرارا بالاعتراف بحكومتكم الموقرة حكومة شرعية للصين . ويسرني ان اغتنم هذه الفرصة لاعرب لسعادتكم عن تمنياتي الصادقة وتمنيات حكومتي لازدهار الامة الصينية وعن تمنياتي الشخصية لكم بان تكونوا في احسن حال » .

التوقيع : موشى شاريت
وزير خارجية حكومة اسرائيل
تل ابيب في ٩ كانون الثاني ١٩٥٠

ويعتبر تبادل الرسائل وحده ، مع دولة ما ، اعترافا واقعيا بها . وقد عززت الصين الشيوعية اعترافها باسرائيل هذا ، فأقامت معها علاقات اقتصادية وبادلتها عدة سلع وعقدت معها اتفاقا لتسهيل الطيران .

وهكذا انكشف خداع بيكين حين ادعت ، اثناء زيارتي كمال جنبلاط واحمد الشقيري للصين الشيوعية ، انها لم تعترف باسرائيل وحين اذاع رئيس وزرائها نفسه شو ان لاي صاحب الرسالة الى موشي شرتوك او شاريت ، بيانات تصور الصين الشيوعية بصورة الدولة المساندة قضية العرب الراغبة في الاخذ بيدهم !

وقد لمس العرب ، حتى الشيوعيون منهم ، تحيزا صارخا من الصين الشيوعية لاسرائيل . وقال زعيم الحزب الشيوعي السوري خالد بكداش في صحيفة « البرافدا السوفياتية » بعد حرب الايام الستة حزيران ١٩٦٧ :

« لقد شددت جماعة ماوتسي تونغ حملاتها على طلب وقف اطلاق النار في عدوان اسرائيل على العرب في حزيران ، وهو الطلب الذي ايدته الدول العربية بالاتفاق مع الاتحاد السوفياتي . وما برحت اذاعة بيكين تلح في دعوة العرب الى قطع علاقاتهم بالاتحاد السوفياتي . وبهذه الطريقة تطلب جماعة ماوتسي تونغ من العرب ان يفعلوا ما لم ينجح الهجوم الاسرائيلي في دفعهم الى عمله ... ثم ان حكام بيكين غير مرتاحين اطلاقا لان الهجوم الاسرائيلي لم يصل حتى دمشق والقاهرة » .

ويختم خالد بكداش بيانه في البرافدا بقوله :

« ولكن بالرغم من محاولات جماعة ماوتسي تونغ، تبدي الدول العربية تصميما على تقوية صداقتها مع الاتحاد السوفياتي اكثر فاكثر . »

وعلى ذكر هذا المقطع الاخير من البيان ، لا يفوتنا ان نسجل واقعا مهما واضحا وضوح الشمس وهو انه اذا كانت بعض الآراء تقول بان هناك بعض الفائدة للعرب من

الموقف السوفياتي الحاضر ، خصوصا منذ ذهاب خروشوف وعهده، فان آراء اخرى تجد ان الفائدة كل الفائدة هي لدول كبرى في صراعها مع دول اخرى كبيرة ... وان التنافس بين شيوعيي موسكو وبيكين في الشرق الاوسط ان هو ، اولا وآخرا ، الا تنافس على البلاد العربية يضعها بين خطريين وانه ابعد بمراحل من ان يكون في صالحها علـى اية حال . فالشيوعية ، حتى في شقها المسكوبي المعتدل اليوم ، تظل في الجوهر خطـرا علـى حرية البـلاد واستقرارها واديانهـا السماوية ، تماما كخطر اي استعمار او تغلغل او سيطرة ، غربية كانت ام شرقية ، مهما اقتضت الظروف العابرة تقلبا ومرانا في المواقف والسياسات . والهدف الاخير يظل واحدا وان اختلفت الاساليب وكيفتها ظروف السياسة الدولية وتقلب اطوارها ...

قالت صحيفة « نضال الكادحين » في عددها التاسع للعام ١٩٦٧ ، تدافع عن سياسة الصين في التوسل بالحرب لتشويع الامم :

« ... اننا نسأل بكداش : طالما يتعاظم جبروت الاتحـاد السوفياتي ، القـوة الاشتراكية الاساسية فيملك الصواريخ والاسلحة المدمرة ، فلماذا يتواطأ مع المستعمريـن الاميركان ؟ ولماذا يعتـدي المستعمرون الاميركان على الشعوب ويحتلـون اراضيها وينهبونها دون حساب ، بينما يطلب السوفيـات مجابهـة الاستعمار باغصان الزيتون والمصالحة ؟ »

ويقول الفريق عفيف البزري ، وهو من زعماء الحزب الشيوعي السوري العسكريين المعروفين ، في بحث مسهب في جريدة « الى الامام » البيروتية (تشرين الثاني ١٩٦٧) ردا على سؤال : هل التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية يتم بالسلم ام بالحرب ؟ :

« ان هـذا التحول للجملة الانسانية (مجموع الشعوب) لا يتم بالسلم بـل بالحرب . اما تحول المجتمعات الاخرى ولا سيما النامية الخارجة من الارتباط بالرأسمالية فاذا كان لدى قيادتها التقدمية نظرة تمكنها من تعيين الحالة بدرجة قريبة من الواقع الملموس ، وكانت لديهـا استراتيجية صحيحة على العموم ، فان بامكانها عندئذ ان تقـوم بتقدير للموقف الراهن تضع على اساس معطياته هدفا معينا واضحا وطريقة عملية لبلوغ هـذا الهدف . وهذه الطريقـة بالذات تتضمن السلم او العنف او الثـورة المسلحة او الحرب . . .

« وحينما ننظر الى مسألة التحول الى الاشتراكية دون تعيين ظروف خاصة ، حينما نطرح هذه المسألة بشكلها العام فاننا نجد امامنا شبكة معقدة من الطرق والمواقف ، لا طريقا واحدا يتبعه هذا التحول . امـا الطريق الواحدة فلا تكون الا في حالة معينة قائمة على ظروف محدودة بزمن قصير نسبيا . ولا بد من ان ترتبط هذه الطريق بالحالة الآنفة الذكر لتوصل الى

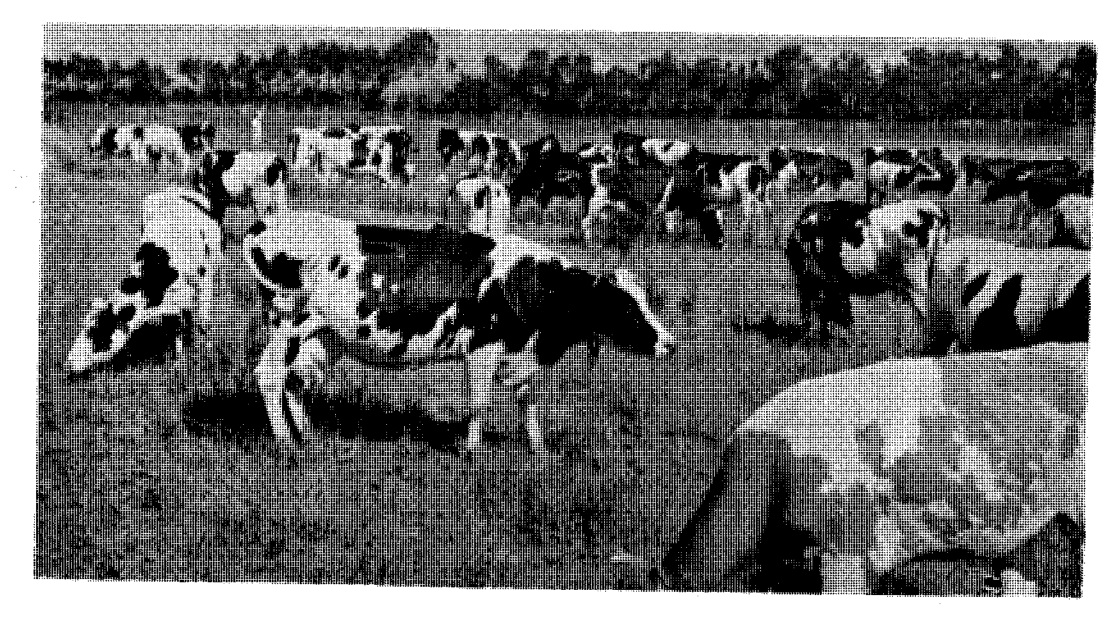
هدف واضح محدد ، فتتنوع ، اذا ، تبعا للحالة الراهنة . ثم انه لا يشترط في الهدف الآنف الذكر ان يكون الاشتراكية او تغيير علاقات الانتاج ، بل انه يكون على العموم « محطة » على الطريق المتعرج المتشعب المعقد الطويل الذي يبدأ من الانفصال عن الرأسمالية وينتهي بالالتحاق بالاشتراكية » .

ونقول نحن : تعددت الاسباب والخطر واحد ...

* * *

مرت بالقارة الاسيوية في العقدين الاخيرين احداث رهيبة ، ابتداء من حرب كوريا الى حرب فيتنام ، يعزوها كثيرون من اهل الرأي ومحللي السياسة العالمية الى وقوع الصين في ايدي طغمة الشيوعيين . ويذكر كثيرون ، وهم يدرسون الاحداث التي تعاقبت منذ الحرب الكورية ومن بعدها حرب الهند الصينية ، ان فلسفة ماو تسي تونغ وامثاله من الزعماء الشيوعيين ، مبنية على التوسع واقامة المجتمعات الشيوعية تباعا حتى يتم تشويع العالم كله ولو بالحديد والنار .

وقد جعلت الشيوعية القارة الاسيوية في طليعة اهدافها ، رغم انها ولدت في اوروبا . وزادها اتجاها نحو آسيا ثم افريقيا ، ذلك الحزم في توقيفها عند حدود تركيا واليونان وجدار برلين بالقوة . وصار البر الصيني ، منذ وقوعه في ايدي الشيوعيين ، قاعدة ينطلق هؤلاء منها في



صناعة الالبان في تايوان متطورة ومجهزة باحدث الوسائل والآلات . وهي تنتـج الحليب الطازج وتزود معامل الحليب المجفف بالكميات الكبيرة التي تحتاج اليها . وفي الصورة الابقـار الحلوب في المراعي .

حملة توسعهم بالقوة تـارة وبالتحريك والتخريب وغصب السلطة تارة .

واذا كانت موسكو ، بعـد خمسين سنة مـن الحكم الشيوعي ، قد كبحت جمـاح « ثورتها » الشيوعية داخل روسيا وخارجهـا ، في اواسط الستينيات وتراجعت عـن النظرية الماركسية في بعض مناهجها الاقتصادية والاجتماعية، وعادت الى قاعدة الاغراء بالربح الفردي في الداخل ، والعمل السياسي وسياسة التحالف في الخارج ، ف « ثورة » بيكين لم يفتر سعيرها رغم اضطراب داخلهـا وتضعضع سلطتها وقيادة حزبهـا . فهي جـادة في حملـة التحريك والاثارة والتخريب في آسيا ، وسياسة التغلغل من طريق النشاط السري الهدام باسم المساعـدة المادية والفنيـة في افريقيا وسائر البلاد التي لا تصل اليها مدافعها ، فيما تقف الصين الوطنية سدا منيعا في طريـق توسعها ، وتحـاول الدول الاسيوية الاخرى ان توقفها عند حدودها بمساعدة الولايات المتحدة .

ولقد انطلت حيلة بيكين زمنا على بعض شعوب آسيا ايام قامت تغريهم بالخير والبحبوحة ، مستغلة تخلفهـم وفقرهم لتوهمهم انها منقذهم وسندهم . ولكن سرعان ما انكشفت حقيقتها لهؤلاء الشعوب فادركوا انها تستغل دماءهم وعرقهم وقضاياهم الوطنية لاغراض توسعها ، وان الغـزو والفتح هما غايتها مثلما كان الغزو والفتح في اقدم الازمان ... والا لبدأت بنفسها فانقذت الجياع من اهل الصيـن

انفسهم وحررتهم من طاغوت حكمها وسخرت ثروات البلاد الهائلة لاصلاح شأنهم ودفع عجلة نموهم ورفاههم .

وحتى بعض جوانب التاريخ من حرب الصين الاهلية التي انتهت قبل ثماني عشرة سنة باستيلاء الشيوعيين على البر الصيني ، ولو الى حين ، قد افتضحت امام العالم كله اخيرا حين اعترفت اذاعة موسكو ، في احدى نشرات الرابع من تشرين الاول ١٩٦٧ بان الاتحاد السوفياتي قد ساهم مساهمة كبيرة في الاستيلاء على البر الصيني بما قدمه من عون حربي للصينيين الشيوعيين ، وباستيلائه معهم على المعاقل الحصينة التي كانت القوات الصينية الحكومية تحتلها ، وبتقديمه الى القوات الصينية الشيوعية سبعمائة الف بندقية واربعة عشر الف مدفع رشاش خفيف وسبعمائة دبابة وثمانمائة طائرة وثمانمائة مخزن سلاح وعتاد وبعض السفن اليابانية ، حتى تضاعفت قوة ماو تسي تونغ وبلغت ذخيرته ضعف ما كانت عليه قبل المساعدة السوفياتية ... وادرك الاسيويون ان تغلب الحمر في الحرب الصينية الاهلية لم يكن بفضل تأييد الشعب الصيني وايمانه بالنظام الشيوعي .

وحتى تلك الدول الاسيوية التي اعترفت بنظام الحكم الشيوعي في الصين ادركت خطأها في هذا الاعتراف مثلما ادركه غيرها كثيرون من الدول والشعوب ، حين

انقضت جيوش الصين الشيوعية على الهند ، والهند من المعترفين بحكومة بيكين ، واحتلت ما احتلته من ارضها وقتلت من قتلته من اهلها ...

واندونيسيا التي اعترفت هي الاخرى بحكومة بيكين كان نصيبها جزاء سنمار حين قام الصينيون الشيوعيون يحرضون الاندونيسيين على تخريب عمرانها وقلب حكومتها ويزرعون الموت والرعب في ما تصل اليه ايديهم الخفية من ارضها .

وفي البلاد العربية انكشفت لنا اخيرا جوانب واضحة من النشاط الصيني الشيوعي الهدام . فتونس التي رأت يوما ان تعترف بالامر الواقع في البر الصيني وتعقد معه روابط تعاون انمائي وفني فيما كانت بكين تمنيها بالقروض والعقود ، قد اكتشفت آخر الامر ان الخبراء الصينيين الشيوعيين ليسوا سوى ادوات اثارة وتحريك على الحكومة التونسية ، وانهم طعنوها في ظهرها ، فطردتهم وقطعت علاقاتها بحكومتهم .

وسورية التي فتحت ذراعيها للصينيين الشيوعيين حتى بلغ عددهم فيها بضعة آلاف ، اكتشفت انهم يعملون في الخفاء لتحريض العمال على حكومتهم ، وقد جعلوا من

ارضها قاعدة لدس نشراتهم السرية وبث دعوتهم الثورية في صحيفتهم المسماة « نضال الكادحين » ، فراحت تطاردهم وتطردهم وتقيد حركاتهم وتحصيها الى ان قلمت اظافرهم، والاسوأ هو الآتي ...

والجزائر لم تنج هي الاخرى من نشاط الصينيين الشيوعيين سرا وعلانية ، وتأليبهم طوائف من العمال على طوائف ، واستغلالهم المساعدة التي يقدمونها اليها لترسيخ قواعد نشاطهم ونفوذهم وتوسيع حركاتهم في المغرب العربي كله .

كذلك كان شأن الصينيين الحمر في اليمن من وراء بعض مشاريع الطرق والموانىء ... فاذا تحولنا الى لبنان وجدنا ان جماعة الشيوعيين الموالين لبيكين قد امعنوا في استغلال مراتع الحرية فيه ليدسوا نشرات ومؤلفات وترجمات تحض على الثورة بالطريقة الماوية ، وتعمل في نظم البلد ونقاباته دسا وتهديما ، ويهربوها الى بلاد عربية مجاورة بمثل براعة اسيادهم في تهريب اطنان الافيون الى خمسة اطراف ارض .

* * *

على ان الصينيين الشيوعيين منوا بسلسلة من النكسات في نشاطهم الخارجي دون ان يبدلوا سياستهم العدوانية او يحدوا من اساليبهم الرامية الى التغلغل في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية . بل انهم ضاعفوا نشاطهم ، ولكن بطرق

جديدة ، في حربهم المزدوجة على الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وحملتهم للتوسع في آسيا والتغلغل في انحاء العالم الاخرى .

وتركز بيكين سياستها على اضعاف النفوذ الاميركي في آسيا وسائر انحاء العالم غير الشيوعي ، وكسب اكبر عدد ممكن من الدول المسماة بالكتلة الوسطى ، وبذل منتهى الجهد لتحسين علاقات بيكين بالدول الاسيوية والافريقية التي لم تلدغ من جحر الصينيين الشيوعيين بعد ، فيما توسع نطاق نشاطها وحركات اثارتها في هذه الدول حتى يسهل لها الصيد في المياه العكرة .

وقد توسلت بيكين لهذه الغاية بسلسلة زيارات قام بها عدد من زعماء الحكومة لباكستان وافغانستان وبورما والكمبودج وكونغو برازافيل وغيرها ، كما توسلت لها بالمساعدة الاقتصادية للسيطرة على اقتصادها والتحكم باسواقها واغراقها ومن ثم التسلط على مقدراتها وتوجيهها الوجهة التي تشتهيها .

اما ابرز العوامل المواتية التي يستغلها الصينيون الشيوعيون وعملاؤهم فهي الوطنية والاقليمية والصراع العرقي ، الى جانب الشعارات البراقة كالجبهة الموحدة ضد الامبريالية و « الاستقلال السياسي » و « الاكتفاء الاقتصادي الذاتي » . وغاية بيكين من كل هذا انشاء منطقة عازلة على طول حدود الصين الجنوبية الغربية

تقابل بها الطوق الذي تضربه الولايات المتحدة حولها ، فيما يشدد الصينيون الشيوعيون ضغطهم على الهند واندونيسيا ، ويطلقون حركات ثورية شيوعية مسلحة في لاوس وتايلاند وماليزيا والفلبين ، ويحرضون الكمبودج على مزيد من العداء لاميركا ومزيد من النزاع على الحدود مع تايلاند وفيتنام . وبذلك يتفاقم الاضطراب في جنوب آسيا الشرقي وتنشأ احوال مؤاتية لحربهم في فيتنام تمكنهم من كسبها وابتلاع البلاد من بعدها لتنتقل الى بلد آخر مجاور .

ولقد مني النشاط الصيني الشيوعي بضربات شديدة في افريقيا بعد تدهور علاقات الصينيين الشيوعيين ببوروندى وداهومي وجمهورية افريقيا الوسطى وغانا وتونس . ولنائب وزير خارجية الجمهورية الصينية الوطنية حسين كون يانغ ، كلمة تلخص الوضع في افريقيا من هذه الناحية . فقد اعلن بعد ان زار اثنتين وعشرين دولة افريقية في رحلة استغرقت ثلاثة شهور ، انه لاحظ ان معظم الدول الافريقية اصبحت تدرك خطر سياسة الصين الشيوعية الرامية الى التوسع بمختلف الوسائل ، من اعتداء علني ونشاط هدام يقوم به عملاؤها في الخفاء ، وخداع واغراء بالمساعدة حتى اذا ما رسخت اقدام الصينيين الشيوعيين قلبوا لها ظهر المجن .

الفصل التاسع

لا تنسوا امثولة سو

على صخرة هائلة من صخور جزيرة كيموي قرأت عبارة « تذكروا امثولة سو » باحرف غليظة كبيرة .

حفر هذه العبارة المارشال شيانغ كاي شيك سنة ١٩٥٢ بخط يده على الصخرة العظيمة ليذكر الصينيين ابدا بقصة تلك المدينة الصينية البطلة « سو » التي رفضت ان تستسلم لما هاجمها الغزاة سنة ٢٨٤ قبل المسيح غداة احتلالهم سائر مدن الدولة ، وظلت تحارب ببسالة حتى تمكنت من النجاة ونجت معها جميع مدن الدولة السبعين في العام ٢٧٩ قبل المسيح ، فتحررت البلاد باسرها ..

واليوم بعد ان شهد العالم من بطولة جزيرة كيموي الوطنية ما شهد وعرف من امجاد حماتها ما عرف حتى ايقن ان تحرير البر الصيني بات محققا وان طال الزمن .. اليوم بعد هذه الوقفة الجبارة التي وقفتها الجزيرة الصغيرة الصامدة الابية ، صار لزاما ان نكتب بأحرف من نور على القمم :

« لا تنسوا امثولة كيموي » كي تتمثل بها كل امة

في العالم تأبى العبودية والذل وتصمم على العيش حـــرة سيــدة .

وامثولة كيموي معجزة في المقاومة والثبات . فهـــي الصخرة التي تحطم عليها هجوم عسكري عصري رهيــب القت فيه الصين الشيوعية بكل ثقلها ، وقاده رئيس اركان حربها بنفسه سنة ١٩٥٨ .

انها الباب ــ وكيمن ، اسمها الصيني ، يعني البــاب الذهبي ــ الذي اغلق في وجه الصينيين الشيوعيين ووقف سدا دون توسعهم في جنوب آسيا الشرقي بأسره ، وشدد من عزائم شعوب هذه المنطقة في مقاومة الزحف الشيوعــي الرهيب .

* * *

توجهت الى جزيرة كيموي بطائرة حربية أبدل موعد اقلاعها من مطار تايبه العسكري ثلاث مرات لتضليل اي عدو يحاول معرفة حركة الطيران العسكري الوطني .
طارت بنا منخفضة تكاد احيانا تلامس امواج المحيط الهادىء حتى لا يكتشفها رادار العدو . وفي الطريق شاهدنا جزر البسكادور بجمالها الاخاذ وشواطئها الهادئة الحالمــة ومن خلفها سلسلة من القواعد الجوية منتشرة هنا وهنــاك في المنطقة على رحبها ...

فلما وصلت كيموي وحطت بي الطائرة وجــدت ان

المطار مخفي تحت الارض عند سفح احدى التلال ، وان لا سبيل الى النيل منه باية وسيلة .

خرجت الى سطح الجزيرة فاذ بها وسادة عريضة من الحقول الخضراء تزركشها تلال وصخور سمراء ، وقد انتشرت فيها ملايين اشجار الصنوبر والسرو والشربين تظلل طرقها وتتضافر اغصانها فتقيم ستارا طبيعيا في وجه طائرات العدو وسدودا محكمة امام مناظيره .

ترى اين ما سمعت عنه من قلاعها وحصونها ومواقع جندها ومراكز سلاحها وسائر جهاز دفاعها وهجومها ؟
لقد بدت لي مدينة جميلة وديعة ، في عدد من نواحيها بعض الخرائب من فعل القذائف ، ولكن ليس فيها من اثر او دليل على ان الحرب متربصة عند شواطئها تنذر كل لحظة بالانفجار ... هذا فلاح يعمل في حقله هانئا خلي البال ... وتلك امرأة لوحت الشمس وجهها ، تحمل عرض منكبيها خشبة تدلت منها سلتان مثل كفتي الميزان فيهما اينع الفواكه والخضار ... وهذه رشاشة تروي البستان، وذلك محراث آلي يعمل في الارض كما تعمل المحاريث في اهدأ الارياف ...

وهؤلاء الاولاد ، تلامذة احدى مدارس الجزيرة ، يعبرون الطريق وقد وقف احدهم كشرطي السير يقطع الطريق على السيارات والعربات حتى يجتازها رفاقه ... وتلك اسواق البلدة لا تلوى على شيء ، غارقة في البيع

والشراء والنقل والتفريغ ...

اجل ، اين رائحة القتال والسجال في هذه القرية الكبيرة الهائئة المكبة على عملها اليومي بكل امان واطمئنان ؟

لم اشعر والسيارة منطلقة بي في شوارع البلدة وتحت قوس من اشجارها يظلل الطريق العريضة الحديثة التي تجتاز الجزيرة من ادناها الى اقصاها ، الا وانا في مربع من مرابع الاصطياف في لبناني الجميل ، في ضاحية من ضهور الشوير او غابة بولونيا او حمانا ، اود لو اقضي هنا ردحا من الزمن لانفض عني وعثاء السفر واريح اعصابي من ضجيج المدينة وقسوة حياتها الآلية المرهقة ...

الى ان تكشفت لي الطبقة الثانية من الجزيرة ، شيئا فشيئا ، فاذا الجزيرة جزيرتان : واحدة فوق الارض حسناء خضراء ، والثانية تحت الارض ، غبراء تعج بالقلاع والجند والسلاح وقد انتشرت المراصد فيها تحصي حركات العدو وسكناته وتتربص به الدوائر ليل نهار .

* * *

جزيرة كيموي – او كيمن كما يسميها الصينيون – مجموعة من القرى والجزر تضم البلدة وقرية « لهيو » او كيموى الصغيرة ، ونحو اربعين جزيرة صغيرة ، ست منها آهلة والبقية مهجورة لانها اهداف سهلة مكشوفة .

وتكـاد تكون كيموي ملاصقـة للبر الصيني . فبعض شواطئها لا يبعد اكثر من نصف كيلو متر عن ارض الصين. انها كالشوكة في جنب الصين الشيوعية تشعرها بوجودها كل ساعة من ساعات الليل والنهار وتتحداها بصغرها وقوة شكيمتها ، كما تحدى داود جوليات ، على قول الكاتبـة الفرنسية سوزان لابان .

كانت الجزيرة ، الى خمس عشرة سنة خلت ، جرداء تغطيها الرمال اللهم الا بعض واحات مزروعة بالموز والاكاسيا والكرز الصيني ، حتى قيل انها كومة من الصخور . فقـد عانت الامرين من دمار الحرب العالمية الثانية ومن البعـد عن رقابة السلطة ، حامية الزرع والضرع . فلما اختارتها قيادة جيش الصين الحرة قاعدة للمقاومة وقلعة اماميـة كشافة للدفاع عن جزيرة تايوان وذلك القسم المهم من المحيط الهادىء ، امتدت اليها يـد الاصلاح والانعاش والتحريـج بمعونة القوات المسلحة ، فاحيت مواتها واحالتها الى روضة غناء ، كل ما فيها اخضر حتى بعض جبالها .

تذكرت ، وانا اطالع مشروع قيادة الجيش اللبناني لتحريج بعض المناطق الجرداء في لبنان ، تلـك التجربـة العظيمة الموفقة التـي حققهـا الجيش الصيني الوطني في جزيرة كيموي بكده ومثابرته ، فأنبت فيها مليونـي شجرة واوقف تفتت التربة وانهيالها ، والبس الجزيرة ثوبا اخضر قشيبا عدل طقسها وجمل منظرها واشاع الجمال والبحبوحة في ارجائها .

لقد اثبت احرار الصين في تجربة كيموى ، صدق المثل الصيني القائل « ان تشجير بلد يقتضي عشر سنين ». ولكن التجربة اقتضت جهدا متواصلا وعملا دؤوبا الى ان اعطت أكلها ، وكانت مدعاة فخر للادارة والقيادة معا ، حتى ان نائب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء حدثني عنها باهتمام فقال : « ليس بالمهمة السهلة ان تزرع مليوني شجرة وتتعهدها حتى تنمو وتزدهر في احوال صعبة وبعد جفاف طويل . »

ثم ان الجيش قام بمهمة اخرى موفقة في حقل الاصلاح والانعاش ، وساهم بانماء اقتصاد الجزيرة ، اذ راح الجند ، في ساعات فراغهم او عطلتهم ، يزرعون الخضار فيخففون من ضغط الطلب على السوق المحلية بسبب حاجات الجيش الكثيرة ، ويزيدون دخلهم بما يجنونه من هذه الزراعة .

* * *

ولننزل الآن الى اعماق جزيرة كيموى ، او الى كيموى الثانية ... انها رابضة تحت الارض او في قلب الصخر ، تعج بالرجال الاشداء والاسلحة الثقيلة الحديثة ، وتنتشر فيها مواقع الرصد ومراكز الرش والقصف وسلسلة من القلاع لا تقوى عليها حتى الاسلحة النووية .

هوذا باب صغيرمنخفض تزينه رسوم للتعمية والاخفاء ويقوم عليه تمثال جندي متأهب للقتال . دخلت مع

مرافقين عسكريين برتبة عقيد ومقدم من القيادة العامة ومرافق ثالث برتبة نقيب من القيادة المحلية ، فاذا نحن نسير واحدا اثر واحد في دهاليز متشعبة لا تعرف لها رأسا من ذنب ... حتى وصلنا الى مركز من مراكز المدفعية الثقيلة الآلية وقد نصب فيه مدفع جبار تحت قبة غليظة الجدران انتشرت في سقفها وجوانبها آلاف من اصداف البحر ... ظننتها اول الامر زينة تخفف من جلمود الغرفة وعبوسها ، ثم عرفت ان لها وظيفة اهم وهي امتصاص دوي المدافع وخنق اصدائها .

ومن فتحة القلعة القيت نظرة فاذا بالامواج تتحطم على شاطىء قريب غص بصفوف الاسلاك الشائكة ، واذا بمئات الرؤوس المدببة تظهر على سطح الماء وتختفي نذيرا بأنها الغام زرعت في كل مكان لتنفجر في وجه من يحاول اجتيازها ليطأ ارض الجزيرة .

وعلى بضع اقدام من القبة الحصينة ، دخلنا موقعا آخر عميقا انتشرت فيه رقع الخرائط الحربية وموائدها ، وهي تمثل مواقع وخططا . واستوقفتني منها طويلا خريطة تمثل الهجوم الصيني الشيوعي الهائل الذي سحقه الصينيون الوطنيون سنة ١٩٥٨ ومنعوا العدو من ان يطأ ارض كيموي وينطلق منها في حملة توسع جديدة .

ووقائع هذه المعركة ، المسماة بمعركة مضائق تايوان ، باعتبار كيموي الحارس الامامي للجزيرة الام تايوان ، مقر

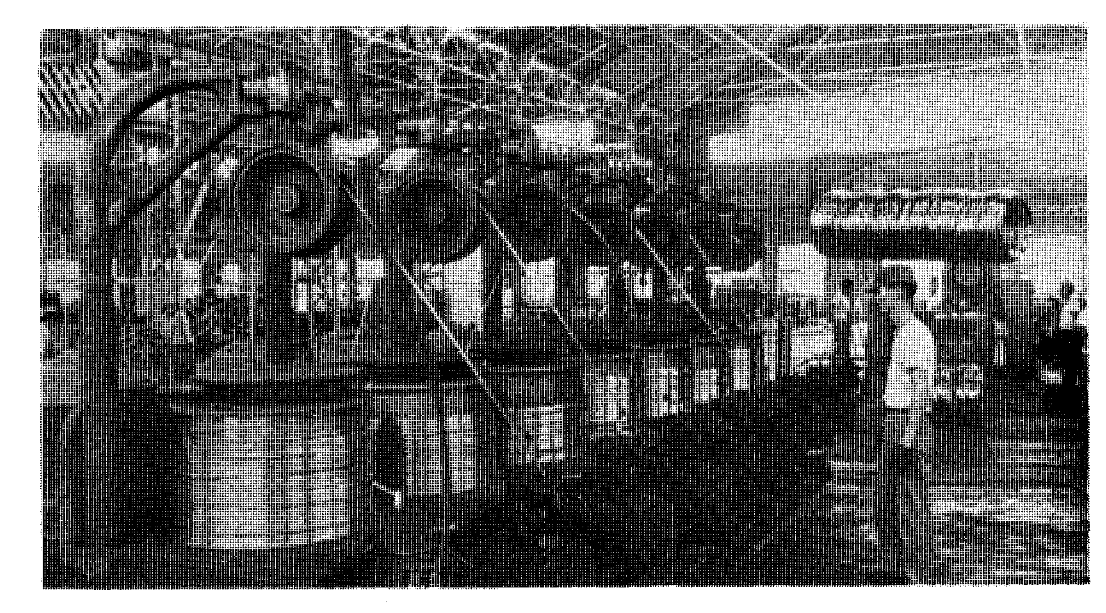
الجمهورية الصينية ، من اروع ما سجل في تاريخ المعارك الحديثة :

بدأت طلائع الهجوم الصيني الشيوعي على كيموي تظهر منذ تموز ١٩٥٨ حين كانت ازمة الشرق الاوسط في اوجها ، وراحت بيكين تتحدث عن اعتزامها ارسال قوات من المتطوعة الحمر الى الشرق الاوسط . فقد اعتبرت القيادة الصينية الوطنية ان المعروف جيدا عن اساليب الشيوعيين انهم يثيرون ضجة في احدى الجهات بينما هم يخططون للهجوم على جهة اخرى .

وبدأ الشيوعيون بعض حركات الكشف الجوي فوق جزيرة ماتسو ، شقيقة كيموي . وجاءت تقارير سرية الى القيادة الوطنية تنبيء بان الطائرات الشيوعية النفاثة انتقلت الى قواعد البر الصيني القريبة من كيموي وماتسو . ووضعت الصين الوطنية قواتها على قدم الاستعداد .

ثم وقعت بعض المناوشات الجوية ، وتبعتها غارات كشفية شيوعية على ماتسو وكيموي ، مع طلقات من المدفعية ، الى ان بدأت المدفعية الشيوعية في الثالث والعشرين من آب ، حملة قصف فجائية رهيبة على كيموي من ثلاثة مواقع معا ، وامطرتها في يوم وليلة بحوالي ستين الف قذيفة ...

واستمر القصف بآلاف القذائف كل يوم ، فيما راحت



مصنع من مصانع الكابلات في تايوان وهو من اكبر المصانع من نوعه في القارة الاسيوية

وحدات من الاسطول الشيوعي تتحرك في مياه المضايق وتحاول اخراج جنود على ساحل كيموي .

ووجهت الاذاعة الشيوعية دعوة الى حاميات الجزر الوطنية القريبة من الساحل الصيني للاستسلام . ولكن رد الوطنيين كان حازما قاطعا : « اننا نتوقع ان يغزو الشيوعيون كيموي ... ولكنهم سيعرفون عندئذ اي منقلب ينقلبون... اننا في انتظارهم » .

وسارعت الولايات المتحدة فارسلت وحدات من اسطولها السادس في المتوسط الى الشرق الاقصى ، بموجب معاهدة الدفاع عن فورموزا ، فيما اشتبكت القوات الوطنية في عدة معارك بحرية مع الشيوعيين .

وتوالت النجدات الى كيموي بحماية الاسطول الاميركي دون ان يتدخل هذا الاسطول في المعركة ، فيما توالى حشد القوات الصينية الشيوعية ، وراح القصف الشيوعي يتزايد يوما عن يوم من البر والجو .

وارسل الشيوعيون جنودهم عبر المضائق ليخرجوا على كيموي افواجا خلف افواج ، فانصبت عليهم نيران الوطنيين من كل اطراف الجزيرة وحصونها وابادتهم على بكرة ابيهم . وانتهت الحملة بهزيمة عسكرية مريرة حلت بالصين الشيوعية ، بعد معارك استمرت اربعة واربعين يوما وقذف خلالها الشيوعيون جزيرة كيموي بعشرة آلاف من

القذائف كل يوم .

لقد اثبتت الصين الوطنية بانتصارها الساحق هذا ، امام العالم اجمع ، انه متى اراد شعب ان يقف وقفة حازمة ويقاتل دفاعا عن حريته ، بمساعدة حلفائه ، كانت له الغلبة حتما ، كما اثبتوا ان العون العسكري الذي تلقوه من هؤلاء الحلفاء قد احسن استعماله فاعطى ثمرته .

وكان من نتيجة اندحار الشيوعيين عند عتبة كيموي ، ان اشتد ساعد الدول والشعوب المهددة والمضطهدة في جنوب آسيا الشرقي ، في وجههم ، وقويت عزائمها في مقاومتهم ، وانطلقت داخل البر الصيني شرارة الثورة على الظلم والطغيان ، وتحركت شعوب عديدة اخرى مضطهدة خلف الستار الحديدي والستار الخيزراني معا ، تنشد الانعتاق من نير الشيوعية ، وسمع العالم بحركات المقاومة والاضطراب في المانيا وبولونيا والمجر والتيبت .

اما الحقيقة الكبرى التي انبثقت من معركة كيموي والمضائق ، فهي ان هذه الجزيرة الجبارة العنيدة قادرة على الصمود ، وان المخاوف التي ساورت اوروبا واميركا من نشوب حرب عالمية بسببها لم يكن لها من مبرر ، وان هذا « الباب الذهبي » سيظل موصدا في وجه المد الشيوعي يمنعه من الاستيلاء على جزيرة فورموزا وجزر البسكادور وطرد الولايات المتحدة من غربي المحيط الهادىء .

* * *

وامتدت بنا السراديب تحت ارض كيموي ونحن نجوب المواقــع والحصون ونشاهد ما تيسر مــن ثقيــل السلاح والعتاد ، حتى وصلنا الى مدخل كأنــه مدخل كهف هائل من كهوف العهد الحجري ... او تدري ماذا وجدنا في هذا الكهف ؟ ــ قاعة عظيمة رصف فيها اكثر مــن ألف ومائتي مقعد وانتصب في صدرها مسرح فسيح وارتفع سقفها عاليا جدا ... انها المسرح العسكري تقــدم فيه المسرحيات او تعرض الافلام للجنود ايام الراحة والاعيــاد وكلما سنحت الفرصة ، ويحول في زمن الحرب الى مستشفى ميدان .

القاعة جبارة حفرت كلها في الصخر وكلفت الملايين ، وقد مثلت لنا واقع كيموي كلــه : رفاه وطمأنينــة في زمن السلم ، ونضال ونزال في زمن الحرب ... بــل مثلت لنا واقعا آخر ، هو ان الصيني ، العريــق في ثقافته ، الضنين بتقاليده ، يحملها معه حتى الى ساحــات الوغى ويتعهدها بكل رعاية حتى وهو في اشداق الموت ...

وانتقلنا من قاعة المسرح الى مرتفــع نصب عليه مرصد عسكري ضخم مركز علــى قاعــدة لولبية دوارة . في تلك البقعة من الجزيرة وجدتني على بعد ستمائة متر مــن البر الصينــي ... انـــي ارى بالعــين المجردة بعض المراكب الشيوعية تتحرك قرب الساحل ، وقد انبسط امامي مشهد عام لجزء من البر الصيني حوالي جزيرة اموي .

وتطلعت بالمنظــار الكبير فاذا الحركة هنــاك واضحة

وبعض المواقع ظاهرة . واذا بي استطيع ان اميز المرأة من الرجل بين المتحركين على الشاطىء .

شعرت في هذا الموقف بنشوة المغامرة وانا اتذكر ان آلاف القنابل قد انصبت مرات ومرات على هذا الموقع وما جاوره ، وان الجانب الشيوعي يرانا مثلما نراه واننا قد نواجه في كل لحظة « حفلة » قصف من الطراز الذي اعتاد الشيوعيون ان يتحفوا به الجزيرة تارة ايام الشفع وتارة ايام الوتر ...

ومن هذا الموقع الرائع انتقلنا الى بعض ساحات التدريب ومررنا بالصخرة العظيمة ، صخرة « سو » المنقوشة عليها العبارة التاريخية « لا تنسوا ... » بخط المارشال شيانغ كاي شيك . ووصلنا اخيرا الى مدخل ضيق يقع بين صخرتين هائلتين ، واجتزنا ممرا طويلا ضيقا ادى بنا الى قاعات « الحرب النفسية » .

هوذا مركز الاذاعة العسكرية التي تخاطب سكان البر الصيني رأسا بمكبرات الصوت فتطلعهم على جلية الامور وترشدهم وتسمعهم الحقائق التي يخفيها عنهم الحكام او يشوهونها .

من هذه القاعات يسمع الصينيون الرازحون تحت ثقل التنين الاحمر في البر الصيني ، صوت الصين الحرة ، صوت جمهوريتهم الشرعية تنقله اليهم الريح من المذياع

الكبير المنصوب على قمة الجبل عبر المضائق ، فيقفون على الحقائق ويتناقلونها من قرية الى قرية ومن دسكرة الى دسكرة حتى تصل الى قلب بيكين . . .

انها الحرب النفسية تفعل فعلها في نفوس الجند والاهلين جميعا ، فيهرب من يستطيع منهم الهرب بكل وسيلة ممكنة ، ويتحين غيرهم الفرص ليختاروا الحرية في احدى جزر الارخبيل السعيد ، كما فعل وما يزال يفعل امثالهم من المضطهدين في اوروبا عبر جدار برلين .

لقد رأيت ثياب بعض هؤلاء الهاربين ومتاعهم في معرض صغير اقيم في كيموي وجمعت فيه شواهد على الفقر والحرمان والاضطهاد التي يسأمها سكان البر الصيني سوم الانعام . . . انها مزق ملفقة من كل صنف ولون او خرق قذرة مهلهلة اين منها اسمال تدفئة الحيوان في زرائبه .

وفي المعرض ذاته ، عند قسم شؤون التوعية والاعلام، رأيت طائفة من اعجب وسائل ايصال الحقائق الى سكان البر المحتل : هذه قطع من الصابون مغلفة معلبة ترسل منها الآلاف الى البر الصيني بالمظلات ، فاذا فتحها من يعثر عليها وجد في احدى زوايا كل قطعة خرما يعالجه فيخرج منه منشور فيه سرد لوقائع وحقائق اخفتها عنه الرقابة في بلده .

وهذه اسماك حية تدس في اجوافها مناشير توعية

واعلام وتطلــق في البحر عبر المضائق في ايــام المد والجزر المواتية ، فاذا اصطادها الصيادون في البر الصيني وجوفوها وجدوا فيها النشرات ووقفوا على ما فيها .

وهذه قذيفــة رأيت المئات مــن مثيلاتها قرب بعض المدافع في الحصون الخفية تحت ارض الجزيرة . انها تنفجر ولكنها بدل ان توزع الموت والدمار على سكان البر الصيني تنثر عليهم نشرات الارشاد والتحريض على حكامهم الظالمين وتعدهم بفرج قريب .

وهذه رزم من الاطعمة والملابس تقذفها الطائرات على البر الصيني ، وهي موقوتة تنفجر بعــد حين من القائهــا فتنثر على الاهلــين المآكل والملابس وتسد بعض حاجتهــم وتخفف من وطأة حرمانهم .

والى جانب كل ذلك مجموعات من البالونات تطلق من ارض كيموي فتحملها الريــح بعيــدا ومعها نشرات وكتب وصور وهدايا من شتى الصنوف الى الارض المحتلة .

لقد برع الصينيون الوطنيون في هذا الطراز من الحرب الادبية حتى قضوا مضاجــع الشيوعيين فحاولــوا عبثا ان يسكتــوا مكبرات الصوت بمدافعهم او يسقطــوا رسائل الاطعمة والالبسة والنشرات قبل وصولها الى الاهلين ، او يمنعوا السكان من التقاطها . ولن اتحدث هنا باسهاب عن رسل التوجيه والاستخبار الذين يهبطون بالمظلات في مناطق

معينة ليتصلوا بقادة الحركات المعارضة لماوتسي تونغ واعوانه ، فأمرهم سر يجب ان يظل مكتوما . ولكن ما استطيع ان اقوله ان العديد منهم يرسلون بين يوم وآخر، وغيرهم يعودون ثم يرسلون ثانية ، وكلهم همة ونشاط وقد اثمرت حركاتهم في دعم المقاومة الشعبية داخل البر الصيني وفي تشديد عزائم الاهلين الموعودين بانبلاج الصبح بعد ليل طويل ...

* * *

يقول وزير دفاع الجمهورية الصينية شيانغ شنغ كيو، نجل المارشال شيانغ كاي شيك :

« اجل نحن جادون في ما وطدنا العزم عليه من تحرير البر الصيني . فحكومة الجمهورية الصينية قد انتخبتها الامة برمتها وفق الدستور ، وهي حكومة البلاد الشرعية الوحيدة ، ولا يمكنها ان تقف موقف اللامبالي وهي ترى الشعب يضطهد ويمزق تمزيقا . وانه لواجب على حكومتنا ان تقضي على نظام الحكم الشيوعي الصيني وتعيد الى الملايين الستمائة من مواطنينا في البر المحتل ، حريتهم وسعادتهم .

« وان لنا من عدالة قضيتنا واتحاد صفوفنا وكلمتنا وعظم مواردنا وعزمنا على ان نموت ولا نعيش عبيدا ، ما يؤهلنا لهذه المهمة .

« ولقد يسأل المشككون : وكيف تستطيعون ان تحرروا البر الصيني برمته ، وكل ما لكم من قاعدة هو جزيرة تايوان (فورموزا) الصغيرة ؟ وكيف تتمكنون بجيش قوامه ستمائة الف رجل ، من مجابهة جيش شيوعي من ثلاثة ملايين في البر الصيني ؟

« فجوابي ان الدكتور صن يات سن ، مؤسس جمهورية الصين ، لما كان يرسم الخطة لثورته على الاقطاعيين المستبدين من جماعة المنشو ، لم يكن يملك اسلحة نارية من اي نوع ، وان بعض الناس سخروا منه وقالوا انه يحلم ... ولكنه استطاع ان ينسف نظام حكم متينا عمره مائتان وستون سنة بعد حركة تشرين ١٩١١ ، واعترف الذين هزئوا به في البداية ، بانه استطاع ان يجعل من مثله الاعلى حقيقة واقعة .

« وهناك مثل آخر هو مثل الرئيس شيانغ . فقد انشأ مدرسة وامبو العسكرية قرب كانتون سنة ١٩٢٤ ولم يكن بأمرته يومذاك جيش بمعنى الجيوش. ومع ذلك بدأ بخمسمائة بندقية يدرب نواة جيش ثوري ما لبث ان وحد الصين بأسرها في حملة ١٩٢٦ — ١٩٢٨ ، وقاوم الغزو الياباني من ١٩٣٧ الى ١٩٤٥ . وفي كلتا الحملتين عاهد الرئيس شيانغ الشعب على ان لا يلقي السلاح حتى النصر . ولقد تم له النصر وحقق ما بدا لكثيرين مجرد اضغاث احلام .

« واليكم مثلا آخر : ابـان ازمة كيموي سنـة ١٩٥٨ ، اسقط سلاحنا الجوي واحدة وثلاثين طائرة صينية شيوعية مقابل كل طائرة فقدناها . وقد خيل لكثيرين لم يكونوا في كيموي ان ذلك مجرد رواية من نسج الخيال . ولكن الوقائع اثبتت للعالم اجمع انه حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل .

« وانما احببت ان اسرد هذه الوقائع كي اثبت ان حربنا لاسترداد البر الصيني هي حرب داخلية ، حرب ثورية على الظلم والطغيان والاغتصاب . ولست هنا في صدد التهوين من شأن الاسلحة في هذا الطراز من الحروب . ولكنني اود ان اؤكد ان القوة الادبية او الروحية هي التـي تقرر المصير . وهذه حقيقـة كثر مـا يثبت واقعهـا في آسيـا حيث يمثل شعور الناس دورا حاسما في مصير الحروب ...

« قـال ماوتسي تونغ ذات مرة : « السياسة حرب بـلا سفك دماء ، والحرب سياسة مـع سفك دماء » . وهذا المفهوم للسياسة والحرب ، باعتبارهما وجهي قطعة نقد واحدة ، لا يمكن تطبيقه على احسن وجه الا بالشروع في ثورة على الشيوعيين . ولا شك بان سحق النظام الشيوعي الصيني ستكون له آثار دولية ، اهمها اضعاف الكتلة الشيوعية وقدرتها على العدوان . وبذلـك يزول خطر نشوب حرب عالميـة ثالثة . »

* * *

غادرت كيموي وفي نفسي الكثير من العبر تلقنتها من شعب يواجه الموت في كل لحظة فلا يرهبه ، ويقارع دولة من ستمائة مليون لها جيش من ثلاثة ملايين ، باقل من عشر معشاره ، دون ان يهاب .

غادرت الجزيرة وفي ضميري دروس بليغة في كيف تصمد الامم وكيف تقاتل وكيف تسترد ارضها وحريتها .

غادرتها وانا اود لو كان عندنا في الشرق العربي « كيموي » من هذا الطراز وحماة من هذا العيار !

اما هم ، اولئك الكماة الاشاوس ، الواقفون في كيموي كالطود في وجه البر الصيني برمته ، فواثقون من ان « الباب الذهبي » هو المدخل الى طريق الخلاص لهذا البر بقدر ما هو السد المنيع امام الزحف الشيوعي على جنوب آسيا الشرقي وغرب المحيط ، وان الجيش الوطني الصيني ، المجهز المدرب ، المهيأ لمعركة التحرير ، يستطيع ، بحماية المظلة الجوية للاسطول السابع ، ان يزحف ويخرج على البر الصيني من جنوبه ، ويتصل بالمليونين من رجال المقاومة المنتشرين في طول البلاد وعرضها يناوئون حكم ماوتسي تونغ واعوانه ، ويتحينون الفرص للايقاع به .

الفصل العاشر

الخاتمة

... من بيروت الى كيموي ثم من كيموي الى بيروت ، عبر سلسلة من اقطار جنوب آسيا الشرقي رحلة مثيرة اصبت فيها ، كما قلت في البداية كنزا من المعارف والتجارب والعبر ، وخرجت بهذه النتيجة : لقد اثبتت الوقائع والاحداث في السنين الثماني عشرة التي انقضت على غصب الشيوعيين السلطة في الصين بالقوة المسلحة والعون الخارجي الحربي ، ان الحكم الشرعي المتمركز في فورموزا قد احسن التنظيم والتطوير ورفع مستوى الفرد والجماعة ، واقام دولة نموذجية صحيحة الجسم والعقل ، تتعاون مع الامم تعاون بناء وسلام ... فيما توالت النكسات ومن بعدها النكبات على شعوب البر الصيني تحت حكم الشيوعيين وفي ظل حرابهم ، وصارت الامبراطورية الشيوعية الصينية اليوم الى ما يشبه « الرجل المريض » او الامبراطورية العثمانية في اواخر ايامها بل اسوأ من ذلك بكثير ...

لقد تفكك المجتمع في الداخل واخذ الحزب الشيوعي يأكل بعضه بعضا . وفي الخارج غاصت اقدام حكم ماوتسي تونغ في اوحال طائفة من الحروب والمنازعات تورط فيها البر الصيني فاضاع الرشد وهناء العيش وماء الوجه ، وانفض عنه كثيرون حتى تقطعت صلاته بالامم ، وتراجعت دول

عديدة عن الاعتراف بنظام حكمه العليل ، بعد ان تكشفت لها الحقيقة عارية سافرة .

وكانت نتيجة الجولة الجديدة الفاشلة في محاولة ادخال الصين الشيوعية الى الامم المتحدة ، اواخر العام ١٩٦٧ ، حكما عالميا يدين نظام ماوتسي تونغ ووزير دفاعه لين بياو وينبذه من الاسرة الدولية نبذ النواة .

وانما يدل هذا الحكم كما يدل تفاقم علاقات الدول بالصين الشيوعية في بضع السنين الاخيرة ، على ان العالم ازداد اقتناعا ، بعد تجارب ثماني عشرة سنة ، بان الطغمة التي تحكم البر الصيني ليست شرعية ولا تحظى بتأييد الشعب ، حتى ولا كثرته ، بل ان حقده على حكامه يتجلى اوضح فاوضح في سلسلة الحركات الثورية المتصاعدة الناشبة في مختلف المقاطعات تهز الكراسي من تحتهم هزا عنيفا .

في الثامن عشر من ايلول ١٩٦٦ ، لما عاد ماوتسي تونغ الى بيكين ، قال وزير دفاعه وتابعه الامين لين بياو ، امام مؤتمر من مؤتمرات الثورة الثقافية :

« ايها الصعاليك ، يا ابطال ثورتنا الثقافية ، دونكم فكر ماوتسي تونغ فاتبعوه ... انه مرحلة جديدة في تطور العقيدة الماركسية ــ اللينينية . انه النظام الامثل لهذه العقيدة وسلاحها الاعظم . »

ومنذ ذلك اليوم و « فكر » ماو تسي تونغ قـد صار الزي الجديد الذي يضرب الاعوان على وتره في كـل كبيرة وصغيرة : اذا تحسنت زراعة البطيخ فالفضل في ذلك يعود الى « فكر » ماو .

واذا نجح لاعب كـرة في مبـاراة فالفضل في نجاحه لفكر ماو .

واذا برز زي في الاحذية او في قص الشعر او ارسال الشاربين ... او اكتشف منجم او شقت طريـق او قام بناء ، فالفضل كل الفضل في ذلك لفكر ماو ... فكأنما فكر ماو تسي تونغ عصا سحرية او كأنه الدواء لكـل داء ... حتى ضاق الناس ذرعا بفكر ماو بعـد ان ضاقوا ذرعا به نفسه .

لم يستطع الشعب ، رغم كل ما بذلته طغمة المتسلطين علـى الحكم مـن جهـد في التبشير بـ « فكر ماو » وفعلـه السحري ، ان ينسى ما جره هذا الفكر على البـلاد مـن ويلات في السنين الثماني عشرة الماضية . لم يستطع الشعب ان ينسى ما عاناه من حملات التطهير والنفي والتعذيب ، ولا نسي كيف سخر الحكم موارد البلاد وطاقاتها ليصنع قنبلة ذرية ايام كان الملايين يموتون جوعا او يقاسون من الحرمان كل الوانه ... فانفجر حقده على حكامه في حركات المقاومة بالسـلاح حينا والقلـم والمسرح حينا آخر ، حتى كـادت الانتفاضة لا تقمع الا وتليها انتفاضة اشد منها .

لقد اطلق الماويون حملـة « الثورة الثقافية » لمحاولة القضاء على المعارضة وانقاذ الحكم الشيوعي من الانهيار ، فاذا هي في الواقع نزاع عقائد من جهة ، وصراع بين الثقافة الصينية التقليـدية الاصيلة وبـين الفكر الماوي الهدام من الجهة الثانية .

وحـاول ماوتسي تونغ ولين بيـاو واضرابهما ، في البداية ، ان يسحقوا كبـار المثقفين القادرين على التفكـير والذين لا يخشون ان يجاهروا بالحقائـق ويقولوا كلمتهم ، فنعتوهم بأعداء الحزب واعداء الشعب واعداء فكر ماوتسي تونغ ... ثم راح ماو ورفيقه لين ، يثيران عاصفة « لتدمير كل قديم واقامة كل جديد » . ولكنهما عجزا عن ان ينزعا الثقافـة والتقاليد الاصيلـة ومكارم الاخـلاق مـن نفوس الشعب ، فاخفقت الحملة وبرزت الثغرة الهائلة الفاصلة بين الشعب وحكامه ، اوسع مما كانت عليه في اي زمن مضى . فقد عرف الناس ماو على حقيقته مما فعلـه مدة حكمه . تذكروا انـه حطم طريقـة الصيني في عيشه ونسف قواعد الحضارة الصينية ، وقتل الآلاف وشرد الملايين وبدد موارد الصين وطاقاتها في سبيل التمكين لحكمه الفردي .

قال ماو تسي تونغ ذات مرة :

« انما تستمـد الحكومـة قوتها مـن فوهـة البندقية ... »

ويعني هذا انه يؤمن بالعنف وحده . ولقـد استولى

فعلا على السلطة بالعنف واقام قواعد حكمه علـى العنف . ولكن كيف يمكن ان يأتي الفكر من فوهـة المدفـع ؟ فالفكر ليس بالامر يصدره الحاكم فتنفذه الرعيـة . وانما الفكر وحرية الفرد صنوان . واذا استطاع ماو تسي تونغ ان يكره الشعب علـى الانصياع لاوامره ، فانـه عاجز عن ان يكره الناس على الايمان بفكره ... وان تنصـاع لاوامر احدهم شيء ، وأن تقبل طريقته في التفكير ، شيء آخر .

لقـد اطلق الحرس الاحمر واطلقت الثـورة الثقافية لانقاذ فكر ماو تسي تونغ وحكمه من الافلاس . ولكن الثورة الثقافية نفسها تحمل في طياتها المصير المحتوم لهذا الفكر وهذا الحكم وهو الافلاس . فهي حرب رهيبة علـى اعداء الماوية واعداء الشيوعية ، وهي صراع حياة او موت بـين الخير والشر ، بـين الهمجية والطبيعة الانسانيـة . ومـا استطاعت الوحشية في حقبة من حقب التاريخ ان تفوز في النهاية وتدوم . وهمجية ماو هي الاخرى لا يمكن ان تكون لها الغلبـة على الطبيعة الانسانيـة . فمصيرها ومصيره الهلاك حتما .

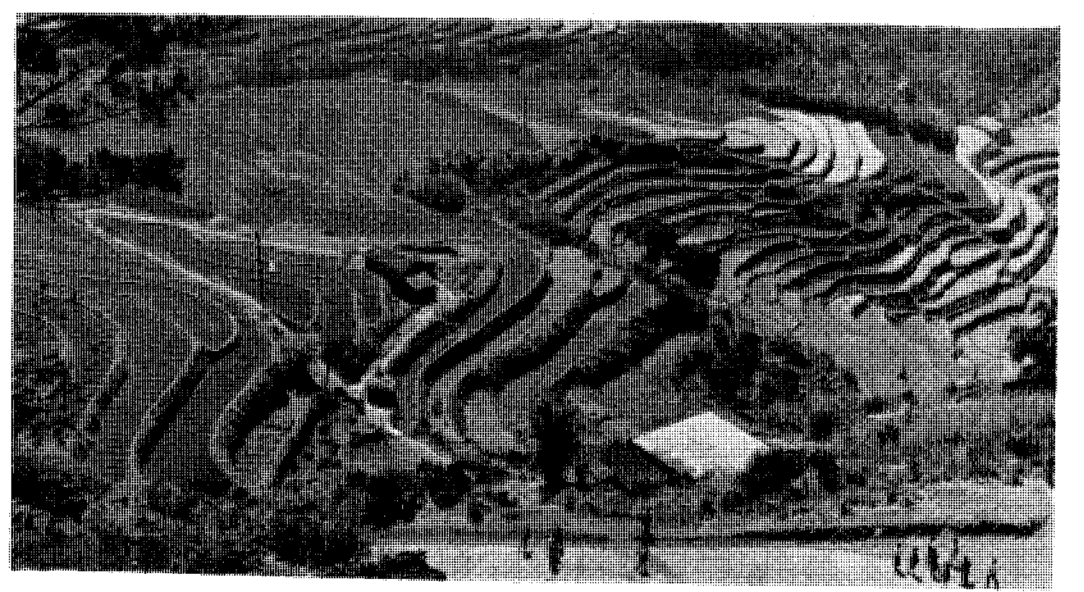
الشرعية ، اذا ، هي آخر ما يستطيع ماو تسي تونغ ان ينسبه الى حكمه او يتسلح به في علاقاته بالامم . وتلك حقيقة ادركها العالم وتزيده احداث الصين ايمانا بها كل يوم .

كذلك ادرك العالم ان الحكم الشيوعي في الصين لم يعد على القـارة الاسيوية ، طول هـذه السنين بغـير الشقاء

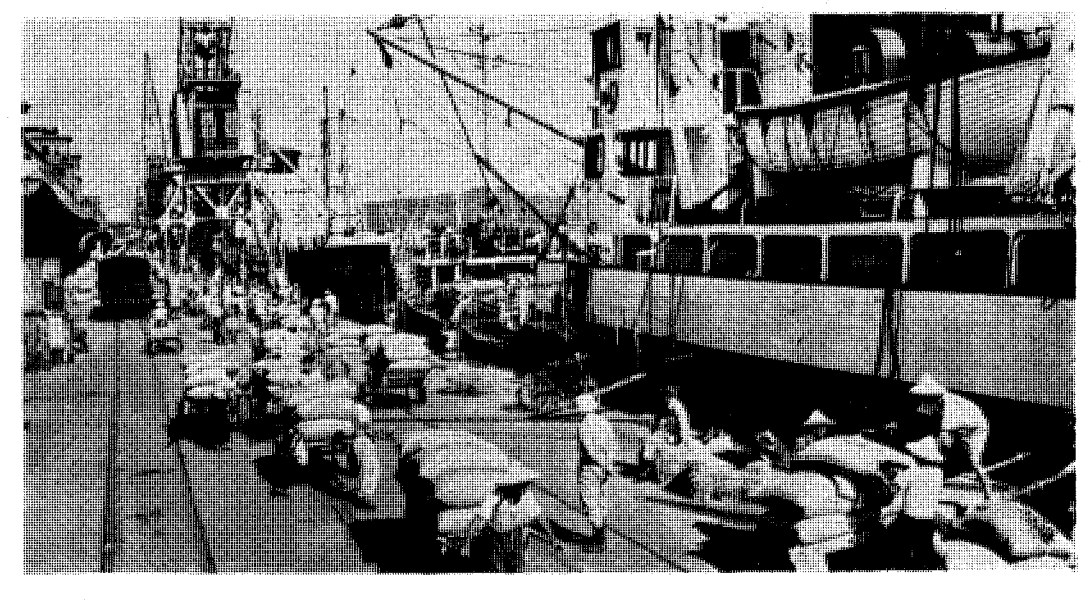
والدمار ، وانــه عنصر اضطراب وتخريب وتهديــد للسلم العالمي ، يحاول ، قبل ان ينتحر ، ان ينحر العالم معه في حرب عظمى ينثر بذورها من اقصى الشرق الى ادناه ، ومن المحيط الهادىء الى المحيط الهندي ...

وقد آن الاوان كي تجمــع الصفوف الى صف احرار الصين وسائر احرار آسيا ، لوقف هذا الخطر الداهم عند حد .

ـ انتهى ـ



مشهد لنظام التدريج المتبع في جزيرة تايوان وهو شبيه بما يفعله اصحاب المزارع في لبنـان ، ويجعل المناطق الجبلية صالحة للزراعة .



شحنات من الارز التايواني في طريقها الى البلدان المجاورة . وتصدر الجمهورية الصينية كميات كبيرة من فائض انتاجها من الارز الى بلدان جنوب آسيا الشرقي